

تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري» لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي*

سامي طوران آرل**

A Critical Edition of *al-Kawkab al-Sārī fī Haqīqah al-Juz' al-Ikhtiyārī* by 'Abd al-Ghanī ibn Ismā'īl al-Nābulusī

This paper is a critical edition of *al-Kawkab al-Sārī fī Haqīqah al-Juz' al-Ikhtiyārī* written by 'Abd al-Ghanī ibn Ismā'īl al-Nābulusī (d. 1144/1731), a leading and a prolific scholar of the Sufi school of *wahdat al-wujūd* (unity of being). The first section provides information on the author and his main works of kalām, followed by an evaluation of the treatise. The subject of the treatise is the freedom of will, which, being one of the main problems of theology, has been discussed in the kalām works as well as in some Sufi treatises such as *al-Kawkab al-Sārī*. In this treatise, al-Nābulusī first presents the approaches of the different schools of Islam such as Jabriyyah, Qadariyyah and Ahl al-Sunnah to the problem of the freedom of will and then presents a solution to this from a Sufi perspective based on knowledge gained through *kashf* (unveiling) and *zawq* (pleasure).

Key words: 'Abd al-Ghanī al-Nābulusī, *al-Kawkab al-sārī*, freedom of will, *al-iradah al-juz'iyyah* (partial will), voluntary deeds, *kashf* (unveiling), Jabriyyah, Qadariyyah.

* عملت هذا التحقيق في دورة التحقيق المنظمة في مركز البحوث الإسلامية (İSAM). وأتقدم بالشكر الجزيل للدكتور

محمود مصري والأستاذ المشارك الدكتور سعاد مرد أوغلو والمحكمين لقراءتم المقالة وإبداء ملحوظاتهم القيمة.

** المعيد، جامعة إسطنبول ٢٩ مايو بالكلية الدولية للعلوم الإسلامية والدراسات الدينية.

(sami.turan.ere@gmail.com)

مقدمة

وما أنت مجبورٌ وربُّكَ خالقٌ
فإنَّكَ مختارٌ ولا جبرَ ههنا
لكَ الاختيارَ المحضَ من غيرِ مريّةٍ
وكلفَكَ المولى بأنواعِ كلفةٍ
يخالف حكمَ الخالقِ المثبِتِ^١
وما الشرطُ في المخلوقِ يقدرُ أنّه

هكذا يصوغ عبد الغني النابلسي الرد على الجبرية من جهة وعلى القدرية من جهة أخرى شعراً، فيرفض الجبر ولا يُخرج الاختيار عن كونه مخلوقاً. ثم إنه يبين اختلاف مشرب أهل الحقيقة عن الجاهلين بها، ويرجع اختلاف ذلك لعدم شهودهم توحيد الوجود الحق:

جعلوه اثنين عنهم واحدٌ
والذي وحده ألدّ في
غائبٌ والآخِرُ الجمّ الغفير
زعمهم ما إن له منهم نصير
أصلُ هذا أنهم يعتقدون
سوى الله بتأثيرٍ يصير
وهو جزءٌ اختياريٌّ لهم
حقّقوه وإلى الله المصير^٢

نشأت مسألة أفعال العباد عنصراً محورياً في علم الكلام، وقد كتب فيها وناقش حولها كثير من العلماء، وبحثوا عن حل مطمئن لها. ومن هؤلاء الأعلام عبد الغني النابلسي الذي نحقق إحدى رسائله في هذه المسألة.^٣

١. الدراسة

١.١. ترجمة المؤلف

الشيخ عبد الغني النابلسي شخصية علمية موسوعية مهمّة من أعيان علماء القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، وقد كان الاهتمام به في الأوساط العلمية كبيراً لاسيما

١ ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، عبد الغني النابلسي، تعليق محمد عبد الخالق الزناتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١م/٢٠٠١هـ، ص: ١٠٤.

٢ ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، عبد الغني النابلسي، ص: ٢٥٢.

٣ ونشير إلى أن هذه الرسالة نشرها سابقاً محمد راغب الطباخ دون تحقيق، ودون مقابلة بين النسخ، كما خلت من أي خدمة للنص، أو دراسة له.

أرل: تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»

منذ بداية النصف الثاني من القرن الماضي، فنشر له الكثير وحقق من مؤلفاته الكثير، وكتبت عنه كثير من الدراسات، ولهذا فإننا سوف نوجز ترجمته هنا، ونحيل إلى الكتب الموسعة تجنبا للإطالة والتكرار.

١.١.١. اسمه ونسبه وتاريخ ولادته ووفاته

هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانيّ المقدسيّ النابلسيّ الدمشقيّ.^٤ ثم إنه يعرف نفسه النابلسي بلداً الحنفيّ مذهباً القادريّ مشرباً النقشبنديّ طريقة.^٥

ولد في دمشق اليوم الخامس من ذي الحجة سنة خمسين وألف للهجرة،^٦ الموافق للتاسع عشر من آذر سنة ١٦٤١ للميلاد، وتوفي ١١٤٣ للهجرة^٧ الموافق لسنة ١٧٣١ للميلاد. وقال مصطفى بن فتح الله الحموي في كتابه فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر عنه: «ولد بدمشق وبها نشأ (...) وأفنى أيامه في تحصيل أنواع الفضائل، وسهر ليلياه في حلّ مشكلات ما استعزل من المسائل، فصار له على كثير من العلوم كمال الاطلاع، لا سيما علم الكلام والمشرب، فإنه أبدع فيه غاية الإبداع وأغرب (...) قدم مكة حاجاً في موسم سنة خمس عشرة ومئة وألف، واجتمعت به، وأجازني مروياته، وحصل بيني وبينه أكيد المودة الصافية.»^٨

٤ ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، عبد الغني النابلسي، ص: ٨.

٥ ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، عبد الغني النابلسي، ص: ١٩.

٦ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل محمد خليل بن علي المرادي، دار البشائر الإسلامية - دار ابن حزم، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٣/٣١.

٧ سلك الدرر للمرادي، ٣/٣٧.

٨ فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر، مصطفى بن فتح الله الحموي، تحقيق عبد الله محمد الكندري، دار النوادر، دمشق، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ٥/١٥١.

٢.١.١. أسرته

ولد النابلسي في أسرة تهتم بالعلم، حيث شغله والده بقراءة القرآن ثم بطلب العلم.^٩ وقال تقي الدين حصيني في كتابه **منتخبات التواريخ لدمشق** عن أسرة عبد الغني النابلسي بعد أن وصفهم بأنهم أسرة قديمة وشهيرة في العلم والمجد: «أتى جدّهم الأكبر إلى دمشق من نابلس، ونقل بعضهم أنهم يجتمعون مع بني جماعة، وتسلسل منهم العلماء الأعلام حتى ظهر جدّهم ومشيد مجدهم العارف الشهير والولي الكبير السيد عبد الغني المعتقد بالولاية عند أهل دمشق. وقد أثنى المؤرخون عليه وعلى آبائه وأجداده الأئمة الأعلام، وذكروا مؤلفاتهم وآثارهم التي طار ذكرها في الآفاق.»^{١٠}

وذكر أيضاً أن العلامة البربري البيروني الشهير مدح هذه الأسرة بالأبيات الآتية:

في الصالحية ذو^{١١} أيادٍ عندهم ملقى الضيوف كفرض عينٍ لازم
قومٌ قد استغنوا بعبدٍ غنيهم وتعلّموا من جودِ ذاك الحاتمي^{١٢}

٣.١.١. نشأته، ورحلاته، ووفاته

ثم إنه نشأ في جو علمي حيث بدأ تعلّم قراءة القرآن ثم طلب العلم من الفقه، وأصوله، والمعاني، والصرف، والحديث، ومصطلحه، والتفسير من العلماء. ثم رحل إلى بغداد، ومصر، والحجاز، وفلسطين ولبنان. وبدأ يلقي الدروس ويصنف وهو في العشرين من عمره. ثم غاص في قراءة كتب الصوفية فظهرت عنده أحوال غريبة وابتعد عن الناس،^{١٣} حيث بدأ الحساد يفتابونه بكلام لا يليق به حتى خرج من بيته الذي لم يخرج منه مدة سبع سنوات، ثم بدأ رحلاته إلى إسطنبول سنة خمس وسبعين وألف، والبقاع وجبل لبنان سنة مائة وألف، والقدس والحليل سنة

٩ عقود الجوهر فيمن صنف خمسين تصنيفاً فمائة فأكثر، جميل بن مصطفى العظم المعروف بجميل بك، المطبعة الأهلية، ١٩٠٨م، ٤٧/١.

١٠ منتخبات التواريخ لدمشق، محمد أديب آل تقي الدين الحصني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٨٥٦/٢.

١١ في الأصل: ذوو، وتم إصلاحها لإقامة الوزن.

١٢ منتخبات التواريخ لدمشق، الحصني، ٨٥٧/٢.

١٣ عقود الجوهر، جميل بك، ٥٠/١؛ سلك الدرر، المرادي، ٣١/٣.

أرل: تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»

إحدى ومائة وألف، ومصر والحجاز سنة خمسة ومئة وألف، وطرابلس الشام مدة أربعين يوماً سنة اثنتى عشرة ومائة وألف، وانتقل من دمشق إلى صالحيته في بداية سنة تسع عشرة ومائة وألف، ومكث هناك إلى وفاته.^{١٤} وتوفي سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، ودفن بالقبّة التي أنشأها في صالحيّة دمشق.^{١٥}

٤.١.١. شيوخه

درس المؤلف على شيوخ كثير حين طلبه للعلم؛ فمنهم والده، وأحمد القلعي الحنفي، ومحمود الكردي، وعبد الباقي الحنبلي، ومحمد المحاسني، والنجم الغزّي، وإبراهيم بن منصور الفتال، ومحمد بن أحمد الأسطواني، وعبد القادر بن مصطفى الصفوري الشافعي، والسيد محمد بن كمال الدين الحسيني الحسني بن حمزة نقيب الأشراف بدمشق، ومحمد العيثاوي، وحسين بن إسكندر الرومي وغيرهم.^{١٦}

٢.١. مصنفاته

وضع النابلسي مؤلفات وشروح كثيرة^{١٧} من أنواع مختلفة من العلوم؛ مثل العقيدة والكلام، والتصوف، والفقه وأصوله، والتفسير، والحديث، والتجويد، والشعر، والرحلات، وعلم الفلاحة وغير ذلك من العلوم العديدة.^{١٨}

١٤ سلك الدرر، المرادي، ٣١/٣-٣٢.

١٥ نفحة الريحانة، الحجي، ١٣٧/٢. وذكر جميل بك تفصيلاً عن وفاته: «مرض رضي الله عنه في السادس عشر من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، وانتقل بالوفاة عصر يوم الأحد الرابع والعشرين من الشهر المذكور، وجهز يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر، وغسله تلميذه العلامة الشيخ علي بن أحمد البرازعي بوصية منه، وكفنه وصلى عليه في داره، ودفن بالقبّة التي أنشأها في أواخر سنة ست وعشرين ومائة، وتولّى دفنه الشيخ علي المذكور، وغلقت البلد يوم موته وانتشر الناس في جبل الصالحيّة، وبنى حفيده الشيخ مصطفى إلى جانب ضريحه جامعاً حسناً بخطبة، والآن يتبرك به ويزار رحمه الله تعالى ونفعنا به، وأمدنا بمدده، أمين.» انظر: عقود الجواهر، جميل بك، ص: ٦٨-٦٩.

١٦ سلك الدرر، المرادي، ٣١/٣

١٧ ذكر ابن شاشو أنه لم يبلغ أي أحد من علماء قرنه إلى عدد مؤلفاته. انظر: تراجم بعض أعيان دمشق علمائها وأدبائها، ابن شاشو، المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٦م، ص: ٦٨.

١٨ انظر قائمة مؤلفاته في: سلك الدرر، المرادي، ٣٢/٣-٣٨. وانظر أيضاً: فوائد الارتحال، الحموي، ص: ١٥٦-١٥١.

للنابلسي كتب متعددة في مسائل كلامية مختلفة، ومنها ما خصّه بموضوع الإرادة الجزئية، غير رسالته الكوكب الساري في حقيقة الجزء الإختياري التي نحن بصدد تحقيقها، مثل رسالة بعنوان الدرّة المضيئة في الإرادة الجزئية ولا نعرف تاريخ تأليفها، ولها نسخة واحدة في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٤٣٩٨، وهي رسالة صغيرة تتكون من ٣ أوراق (103a-105a)،^{١٩} ومنها تحقيق الانتصار في اتفاق الأشعري والماتريدي على خلق الإختيار، ألفها في اليوم العشرين من الشهر الأول من عام ١١١٧هـ، ولها نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٧٢٠٥، وهذه النسخة تم نسخها من نسخة فيها توقيع للمؤلف، وهي رسالة تتكون من ٢٦ ورقة (25a-1a)،^{٢٠} ومنها رد الجاهل إلى الصواب في جواز إضافة التأثير إلى الأسباب، ألفها بسبب رؤيا، وتناول فيها أحوال الأولياء بعد موتهم وفائدة زيارة قبورهم.^{٢١} وفي نفس الإطار كتابه تحريك سلسلة الوداد في مسألة خلق أفعال العباد كتبه في اليوم التاسع من الشهر التاسع من عام ١٠٨٩هـ، وله نسختان أحدها في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٦٠٧٨ تم نسخها عام ١٢٣٥هـ، وهي نسخة تتكون من ٢٧ ورقة (44b-71b)، وثانيها في مكتبة السلطانية بإسطنبول في قسم أسعد أفندي في مجموع فيه مصنفات للنابلسي تحت رقم ٣٦٠٦ وهي رقمة ٤ في ذلك المجموع، وتم نسخها عام ١١٣٢هـ، وهي نسخة تتكون من ١٣ ورقة (190a-202b).^{٢٢}

إن المطلع على كتب عبد الغني النابلسي في العقيدة والكلام سوف يلاحظ أنه تناول الموضوعات التي يتطرق إليها بنظرة صوفية معتمداً على الكشف والذوق في كثير من الأحيان، وليس هذا إلا بسبب كونه صوفياً حمل الثقافة التقليدية في وحدة الوجود. ولا بد من القول بأن نظرتة هذه التي تبناها أسهمت في عرض المسائل الكلامية ممتزجة بالمعاني المعرفية.^{٢٣}

هناك أطروحة دكتوراه عن مؤلفات عبد الغني النابلسي وحياته وأفكاره لبكري علاء الدين، تتألف من مجلدين، واقتصر المجلد الأول على مصنفات النابلسي. انظر:

Bakri Aladdin, 'Abdalgani an-Nābulusî: Oeuvre, Vie et Doctrine, Université de Paris, 1985.

Bakri Aladdin, 'Abdalgani an-Nābulusî: Oeuvre, Vie et Doctrine, 1/71. ١٩

Bakri Aladdin, 'Abdalgani an-Nābulusî: Oeuvre, Vie et Doctrine, 1/204. ٢٠

Bakri Aladdin, 'Abdalgani an-Nābulusî: Oeuvre, Vie et Doctrine, 1/170. ٢١

Bakri Aladdin, 'Abdalgani an-Nābulusî: Oeuvre, Vie et Doctrine, 1/208. ٢٢

٢٣ يمكن النظر مثلاً إلى كتابه المطالب الوفية بشرح الفرائد السنّية الذي هو شرح منظومة أحمد بن محمد الصفدي الفرائد السنّية في علم العقيدة والكلام. انظر: المطالب الوفية بشرح الفرائد السنّية، عبد الغني النابلسي، مكتبة السلطانية، قسم داماد إبراهيم باشا، رقم: ٧٩٧.

٣.١. التعريف بالرسالة

١.٣.١. توثيق نسبة الرسالة إلى مؤلفها

عنوان الرسالة في جميع النسخ: الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري. ووردت نسبة الرسالة إلى مؤلفها عبد الغني النابلسي في سلك الدرر وعقود الجواهر^{٢٤} بالعنوان المذكور نفسه.

٢.٣.١. موضوع الرسالة وأهميته

مسألة أفعال العباد التي هي موضوع هذه الرسالة تسأل حولها الإنسان منذ القديم، سواء أكان ذلك قبل الإسلام أم بعده. ففي تاريخ الإسلام الفكري شرع المسلمون بمناقشة هذه المسألة بعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا في عهده صلى الله عليه وسلم لا يناقشونها بتفصيل لعدم الحاجة إلى ذلك، وهذه الحاجة لم تظهر إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. وبالرغم من ذلك، بإمكاننا القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يعرفون المذهب الصحيح في هذه المسألة وإن لم يتكلموا فيه. ويمكن لنا من معرفة هذا الموقف من خلال بعض الأحاديث الشريفة؛ فعلى سبيل المثال ورد في البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد أن يذهب إلى الشام مع بعض الصحابة جاءه خبر وجود الطاعون فيها، فاختلفوا فيما بينهم في الرجوع عن الطريق أو الاستمرار؛ فبعد أن قرّر عمر رضي الله عنه الرجوع إلى مدينة المنورة اعترض عليه أبو عبيدة بن الجراح قائلاً: «أفراراً من قدر الله؟»، فقال عمر: «لو غيرك قالها يا أبا عبيدة. نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، أرايت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان إحداها خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله»، «فجاء عبد الرحمن بن عوف، وكان مُتَغَيِّباً في بعض حاجته. فقال: إن عندي في هذا علماً. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منها»، فحمد الله عمر ثم انصرف». ^{٢٥} ويظهر في هذا الحديث علم الصحابة بأن الإيمان بالقدر لا ينافي مع اتخاذ الأسباب. فهذا كان معلوماً عندهم ولديهم دليل من الحديث، وإن لم يكونوا ليطلبوا

٢٤ سلك الدرر، المرادي، ٣/٣١-٣٨؛ عقود الجواهر، جميل بك، ص: ٥٦-٦٧.

٢٥ صحيح البخاري، الطب ٢٩.

النقاش في هذه القضايا. والأكثر من ذلك أن عمر رضي الله عنه أداه اجتهاده إلى هذا، قبل أن يكون على علم بالحديث.

وبعد عهد الصحابة توسع الكلام في خلق أفعال العباد بسبب ما انتشر من الفرق التي بعضها كان قدرياً ينكر القدر وبعضهم كان جبرياً. فأفرط بعضهم في الحكم أمام هذه المسألة، وفرط بعضهم. فاختار متكلمو أهل السنة طريق الاعتدال، وصار إلى مذهب يجمع بين فعلي الخالق والعبد بشكل لا يخلّ بألوهية الربّ وعبودية العبد. ثم طوّر علماء الأشعرية نظرية الكسب، وعلماء الماتريدية نظرية الإرادة الجزئية. وما سبق ذكره يعتمد على حلول عقلية، ومن جانب آخر مال بعضهم إلى نظرة صوفية شهودية ذوقية. وأما هذه الرسالة التي نحن بصددنا فتتناول الموضوع بالطريقة المتأخر ذكرها.

١.٣.٣. أسلوب الرسالة وعرضها للمسائل

بدأ المؤلف رسالته بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واستعمل صناعة براعة الاستهلال، حيث قال: «الحمد لله الذي خلق الإنسان على أكمل ما يكون في عالم الإمكان. وميّزه عمّا في السماء من الملّك وما في الأرض من الحيوان بما أودعه في خلقته من الجزء الاختياري الذي هو قابلية صدور العدل منه والعدوان.»

ثم قام المؤلف بالتفريق بين الأفعال الاضطرارية التي لا مدخل لها في مسألة أفعال العباد من ناحية التكليف، والاختيارية التي هي مجال التكليف للعبد، وبعد إثبات أنه لا اختلاف في القسم الأول من الأفعال وإنما الاختلاف في القسم الثاني، أي الأفعال الاختيارية، قسّم المذاهب في أفعال العباد الاختيارية إلى ثلاثة أقسام:

١- القدرية: هم المعتزلة الذين لا يجعلون للخالق أيّ دور في تحقيق الأفعال، وينسبونها إلى العبد فقط، حيث يقولون: إن العبد خالق أفعاله الاختياري.

٢- الجبرية: هم الذين لا يجعلون للعبد أيّ دور من الإرادة والقوة في أفعاله، وينسبونها إلى الله من طريق إجباره العباد في الأمور كلها.

٣- متكلمو أهل السنة: قسمهم المؤلف فيما بينهم إلى ثلاثة أقسام أيضاً:

أرل: تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»

الظاهرية: هم الذين يأخذون بظواهر النصوص، ويعتمدون عليها في هذه المسألة، من دون ميل إلى التأويل، مثل بعض الحنابلة الذين يقولون بأن العبد فاعل أفعاله غير أنها لا تتحقق إلا بإذن الله.

أ. الأشاعرة: هم جماعة أبي الحسن الأشعري، الذين يقولون بأن «العبد مختار في أفعاله ومجبور في اختياره»، وهذا ما يسمى الجبر المتوسط. وهم يعنون به الجبر الباطن، غير الظاهر.

ب. الماتريدية: هم جماعة أبي منصور الماتريدي، الذين يقولون بأن للعبد قوة اختيارية خلقها الله فيه من جملة القوى الباطنية، فيخلق الله سبحانه أفعال العباد حسب على اختيار العبد فعله، وهذا ما يسمى الجزء الاختياري.

يمكن القول بأن النابلسي وجد نظرية الإرادة الجزئية مقبولة وعقلانية، حيث أتى بها مذهباً أخيراً في بيان مذاهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، واهتم بشرحها أكثر من مذهبي الظاهرية والأشعرية، وحدد عنوان رسالته معتمداً عليها وجعل كشف حقيقة هذه الفكرة هدفاً له. قبل النابلسي الإرادة الجزئية المخلوقة في الإنسان جزءاً من خلقته كيد ورجله يفعل به العبد أفعاله الاختيارية من صالحها أو فاسدها فيستحق به الثواب أو العقاب، ومن هنا يصير هذا الجزء مجال التكليف للعبد؛ حيث إذا صلح صار العبد مكلفاً إذا فسد سقط منه التكليف. والنابلسي بكونه يرى الإرادة الجزئية جزءاً في خلقه الإنسان إنه قال بأن العبد لا يكون تحت جبر بخلق هذا الجزء فيه، كما لا يقال أنه مجبور في خلق يده ورجله، وأفاد بأن الفاعل هو كل من صدر منه فعل، فالعبد فاعل مختار يفعل أفعاله الإرادية بجزئه الاختياري المخلوق فيه، فإنه يفعل وهو غير مجبور، ولو كان الخالق لفعله على الحقيقة هو الله.

ثم بدأ المؤلف يصرح برأيه الشخصي قائلاً «وأما الذي عندنا في تقرير هذه المسألة وبيان سرها على وجه الإشارة»، معتمداً على نظرة صوفية شهودية ذوقية، فقال بأنه لا حل لهذه المسألة على أكملها إلا بنظرة صوفية تعتمد على «الكشف وانفتاح باب الغيب الملوكوتي للقلب الانساني»، لأن الله سبحانه ما أشهد عباده خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم، فمادام الله سبحانه خلق الإنسان على صورته، كما ورد في الحديث^{٢٦}؛ فإن للحق ذاتاً وصفات وأفعالاً، وكذلك للعبد، ولا يعرف الإنسان حقيقة اختيار أفعاله إلا بعد معرفة خلق الله للسموات والأرض

٢٦ صحيح مسلم، البر والصلة والأدب، ٢٦١٢.

وخلق العبد، وهذه المعرفة هي السرّ الذي يتمحور حوله كل شيء. ويؤكد المؤلف أنه لا تحصل هذه المعرفة إلا «بملازمة الشيوخ الصادقين أهل القلب النوراني والسر الرباني، والثبات في صحبة أرباب العلم الإلهي الذوقي الوجداني، والصدق في خدمتهم بدوام اعتقادهم، مع التسليم لأحوالهم وأقوالهم، من غير اعتراض عليهم بالظاهر أو الباطن في وقت من الأوقات، ولا في ساعة من الساعات، حتى تشمله العناية الإلهية كما شملتهم.»

ونفهم مما كتب في آخر نسخ المقابلة، أعني «أ» و«ع» و«س» و«م»، أن هذه الرسالة آخر ما كتبها في هذه المسألة، وما كتبه المؤلف في هذه الرسالة عن الجزء الاختياري فهو آخر ما استقرّ عنده في هذه المسألة وهو في ٥٠ من عمره، وقال في ديوانه الذي كتبه في زمن قريب من تأليف الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري^{٢٧} بما قاله في هذه الرسالة حيث أضاف للعبد اختياراً محضاً وأنه ليس بمجبور ألبتة كما يفهم مما اقتبسنا من ديوانه في البداية، غير أنا نلاحظ أن أفكاره هذه قد تبدلت بمرور الزمان نسبياً أو تركزت في محاور مختلفة وأنه صار يصرح بأن العباد مجبورون في جميع أفعالهم وأحوالهم، حيث رأى الاختيار في كتابه تحريك الإقليد في فتح باب التوحيد الذي كتبه بعد ٣١ سنة من تأليف الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري^{٢٨} عبارة عن صفة يتصف بها الإنسان،^{٢٩} وأن الإنسان يصير به مختاراً بصورة، وقال: «العبد المخلوق لله مجبور في جميع أفعاله وأحواله كلها، يخلقها الله تعالى له، ويختارها له، ومع ذلك العبد في صورة مختار، يخلق الله تعالى له الاختيار، فيكون ذلك الاختيار صفة له يصير بها مختاراً.»^{٣٠}

رأى النابلسي أن أهل النظر أخطؤوا بأنهم سلكوا مسلك النظر العقلي واعتمدوا على قواعد منطقية في المسائل الكلامية منصرفين عن مسلك السلف الصالح والصحابة والتابعين الذي هو مسلك معتمد على «ما يعلمه الله تعالى ورسوله»، وقال بأنهم لو كانوا تبعوا تلك الطريقة «لأشرفت أنوار الإيمان في قلوبهم، وتجلّى عليهم نور الله تعالى الذي قامت به السموات والأرض، فأبصروا الحق بالحق، كشفوا اللبس، وزال عنهم الظن والحدس»، إن المؤلف بأقواله هذه صار ينتقد المتكلمين بأن منهجهم خاطئ من ناحية كونه غير طريقة السلف الصالحين، وأنه لو كان صحيحاً فإنه غير كافٍ

Bakri Aladdin, 'Abdalgani an-Nâbulusi: Oeuvre, Vie et Doctrine, 1/263. ٢٧

Bakri Aladdin, 'Abdalgani an-Nâbulusi: Oeuvre, Vie et Doctrine, 1/266. ٢٨

٢٩ تحريك الإقليد في فتح باب التوحيد، عبد الغني النابلسي، نشر السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، لبنان ٢٠١٢، ص: ٢٧٤-٢٧٥.

٣٠ تحريك الإقليد في فتح باب التوحيد، عبد الغني النابلسي، ص: ٢٤٤-٢٤٥.

أرل: تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»

بسبب اعتماده على قواعد منطقيّة لا تطمئنّ القلوب بما. وإنه رأى أنّ الطريقة الحقّة التي توصل إلى إشراق أنوار الإيمان في القلوب وتجلي نور الله على الإنسان وإبصار الحق بالحق وكشف اللبس وزوال الظن والحدس هي الطريقة الصوفية المعتمدة على الكشف والذوق.

مع ذلك، هذا لا يعني أن النظام الفكري عند النابلسي يرفض العقل، بل ما ذكرناه مما تقدم هو عبارة عن تقييم للقضية التي درسها في رسالته، ونعتقد أنه لا بد من أن تنتبه إلى واقع أن النابلسي من الصوفية المنتسبين إلى مدرسة وحدة الوجود، وهي نظام صوفي يتسم بأسلوبه النظري المعروف، ولذلك سمي «التصوف النظري»، الذي بدأ بآب بن العربي واستقر عند الصدر القنوي، وكان النابلسي الشخصية القابلة لتمثيل تلك النظرية بشكل قوي، كما ظهر في كتابه **الوجود الحق والخطاب الصدق**.^{٣١}

٤.٣.١. وصف نسخ الرسالة

وجدنا لهذه الرسالة خمس نسخ؛ إحداها في مكتبة آتاتورك، والأربعة الباقية منها في المكتبة السليمانية. وقد حصلنا على كل هذه النسخ، إضافة إلى أن لهذه الرسالة نسخ أخرى سنشير إليها في نهاية هذا القسم.

١.٤.٣.١. نسخة مكتبة آتاتورك^{٣٢} (ورمزنا له نسخة «أ»)

هذه النسخة في مكتبة آتاتورك ضمن مجموع تحت رقم: ٧٨٣.

وقد صرح الناسخ باسمه في آخر الرسالة قائلاً: «وقال كاتبه الفقير إلى مولاه التقدير نجاتي إبراهيم»، وتم نسخها بتاريخ ١٢٤٠هـ. وعدد أوراقها: ٨، وهي نسخة نظيفة جداً. وبعد دراسة النسخ اخترنا هذه النسخة أصلاً في تحقيقنا، وذلك بأن هذه النسخة هي الأوثق بين النسخ الأخرى حيث - كما ذكر الناسخ في آخر الرسالة - تمت مقابلتها من نسخة المؤلف، غير أننا إن وجدنا ما

٣١ انظر: الوجود الحق والخطاب الصدق، عبد الغني النابلسي، تحقيق بكرى علاء الدين، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٩٥.

٣٢ في مكتبة آتاتورك نسختان أخر أحديهما تحت رقم ٨٩، والأخرى: ٤١٨، ضمن مجموعين مختلفين.

في النسخ الأخرى أفضل وأليق من ناحية استقامة المعنى أثبتناه في النص وأشرنا إلى هذه النسخة، أي نسخة «أ»، فرقاً.

وكتب الناسخ في آخر الرسالة: «قال مؤلفها قدس الله سره ونفعنا به وبعلمه: وهذا آخر ما فتح به الباري في تحرير مسألة الجزء الاختياري في تاريخ نهار الثلاثاء أوائل ربيع الثاني سنة مئة وألف.» وكتب أيضاً: «وقال كاتبه الفقير إلى مولاه القدير نجاتي إبراهيم ثبته الله تعالى على الطريق القويم: استنسخت هذه الرسالة الشريفة من نسخة حضرة المؤلف رضي الله عنه وأرضاه عنا، وأنا مقيم في حجرة الكائنة في جامع حضرة الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محي الدين العربي قدس سره الأطهر في تاريخ نهار الأربعاء في اليوم الثامن عشر شهر شعبان المعظم سنة أربعين ومئتين وألف.»

١. ٣. ٤. ٢. نسخة أسعد أفندي (ورمزنا له نسخة «ع»)

هذه النسخة في المكتبة السليمانية ضمن مجموع بقسم أسعد أفندي تحت الرقم: ١٧٦٢. لا يوجد اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ. هذه النسخة لها ميزة أيضاً بأنها نسخة - كما ذكر الناسخ في آخر الرسالة - تمت مقابلتها من نسخة الأصل. وعدد أوراق النسخة: ٨. وفي هوامش النسخة بعض التصحيحات. وكتب الناسخ في آخر الرسالة: «قال المؤلف نفعنا الله به وأمدنا بمدده: وهذا آخر ما فتح به الباري في تحرير مسألة الجزء الاختياري في تاريخ نهار الثلاثاء أوائل ربيع الثاني سنة مئة وألف.»

١. ٣. ٤. ٣. نسخة أسعد أفندي (ورمزنا له نسخة «س»)

هذه النسخة في المكتبة السليمانية ضمن مجموع رسائل لعبد الغني النابلسي بقسم أسعد أفندي تحت رقم: ١٦٨٩. يصرّح الناسخ باسمه في آخر الرسالة قائلاً: «وذلك على يد الفقير الحقير وأرجو رحمة ربه العليم الخبير درويش علي ابن محمد المعروف بابن النجار الأقرطيشي السوداني»، غير أنه لا يذكر تاريخ نسخة لهذه الرسالة.

وعدد أوراق النسخة: ٨. ونصادف في هوامش الرسالة بعض التصحيحات.

أرل: تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»

وفي آخر الرسالة كتب الناسخ: «قال المصنف نفعنا الله به وأمدنا بمدده وهذا آخر ما فتح لي الباري في تحرير مسألة الجزء الاختياري في تاريخ نهار الثلاثاء أوائل ربيع الثاني سنة مائة وألف. وقد وافق الفراغ من كتابتها يوم الإثنين خامس شهر رمضان المبارك سنة ثلث وسبعين ومائة بعد ألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام وأكمل التحية وذلك على يد الفقير الحقير وأرجو رحمة ربه العليم الخبير درويش علي ابن محمد المعروف بابن النجار الأقرطبيشي السوداني غفر الله له ولوالديه ولكافة المسلمين آمين.»

ونجد في آخر الرسالة: «المسائل^{٣٣} التي وقع الخلاف فيها بين الإمامين وأبي الحسن الأشعري وهي سبع، وهي الاستثناء في الإيمان، والسعيد لا يشقى والشقي لا يسعد عند الأشعري خلافاً لأبي حنيفة، والكسب الذي ثبته الأشعري خالف فيه أبو حنيفة، والأشعري يقول أنه معرفة الله واجبة بالشرع وأبو حنيفة بالعقل، والأشعري يقول أوصاف الأفعال كالرازقية حادثة، وأبو حنيفة يجعلها قديمة، وأبو حنيفة يقول بامتناع الصغائر عن الأنبياء وخالفه الأشعري في ذلك، وليس على الكافر نعمة قال بذلك الأشعري وخالفه أبو حنيفة رحمه الله تعالى.»

ونجد أيضاً تحت عنوان: «في قدرة العبد»: «سمعت عن أستاذي الفاضل الدرندي يقول: في القدرة بمعنى صفة العبد أربعة مذاهب هي موجودة، بخلق الله تعالى في العبد عند الماتريدي والأشعري والمعتزلي، وغير موجودة عند الجبرية، وقالوا: ليس للعبد قدرة أصلاً، وأفعال العباد اضطرارية، وقال الأشعري: القدرة مع الفعل، وليس لها تأثير أصلاً، وقال الماتريدي والمعتزلي أي القدريّة: القدرة قبل الفعل ولها تأثير، لكن قال المعتزلي: تأثير القدرة في وجود الفعل، وقال الماتريدي: تأثير القدرة في اختيار الجزئي وهو تعلق الارادة.»

وبعد النص: «أنا الفقير إلى ربه القدير أحمد الرومي أخو المختومي.»

١.٤.٤.٣. نسخة حاجي محمود أفندي (ورمزنا له نسخة «م»)

هذه النسخة في المكتبة السليمانية ككتاب مستقل بقسم حاجي محمود أفندي تحت

رقم: ٢٨٦٠.

قيد الناسخ أنه قد نسخها سنة ١٣١٤ للهجرة. ولم يصرح اسمه. وعدد أوراق النسخة: ١٩. وهي نسخة متقنة وخطها جميل. وكتب الناسخ في آخر الرسالة: «قال المؤلف نفعنا الله به وأمدنا بمدده وهذا آخر ما فتح به البارئ في تحرير مسألة الجزء الاختياري في تاريخ نهار الثلاثاء أوائل ربيع الثاني سنة مائة وألف، أسكنه الله فراديس جنانه آمين.»

١.٣.٤.٥. نسخة حاجي محمود أفندي (ورمزناه نسخة «د»)

هذه النسخة في المكتبة السليمانية ككتاب مستقل بقسم حاجي محمود أفندي تحت رقم: ١٤٠١.

لم يصرح الناسخ باسمه ولا تاريخ نسخه للرسالة. وعدد أوراق النسخة: ٣٤. واقتصرنا في التحقيق على المقابلة بين النسخ الأربعة الأولى.

وللرسالة نسخ أخرى في العالم؛ منها ما توجد في ألمانيا بمكتبة Gotha، كما ذكره Wilhelm Pertsch في كتابه: Die Arabischen Handschriften der Herzoglichen Bibliothek zu Gotha, 5 vol., Gotha 1878-92. ومنها نسخة توجد في دمشق بالمكتبة الظاهرية تحت رقم ٩٣٠٤، تتكون من ١٢ ورقة تم نسخها عام ١٣٢٠هـ، ومنها نسخة Princeton تحت رقم ٢٥١٩، أشار إليها Rudolf Mach في كتابه: Catalogue of Arabic Mss. (Yahuda Section) in the Garrett Collection Princeton University Library, Princeton, 1975. وهي نسخة تتكون من ١٣ ورقة، وتم نسخها من الأصل عام ١٢١٥هـ، وحسبما نفهم مما أشير إليه في نسخة دمشق فإنها تعتمد على نسخة Princeton.^{٣٤}

١.٤.١. عملنا في التحقيق

-اتبعنا أثناء تحقيقنا قواعد التحقيق لمركز البحوث الإسلامية «ISAM».

-وقابلنا أربع نسخ من بين الخمس. وهي نسخة مكتبة أتاتورك «أ»، ونسخة أسعد أفندي

أرل: تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»

«ع»، ونسخة أسعد أفندي «س»، ونسخة حاجي محمود أفندي «م». اعتمدنا على نسخة «أ» أكثر؛ لأنها نسخة تمت مقابلتها من نسخة المؤلف كما ذكرنا، إلا أننا إن وجدنا ما هو أصح في أي نسخة غيرها أثبتنا الصواب في النص وأشرنا إلى ما هو فيها في الهامش.

-وضعنا عزو الآيات التي استشهد بها المؤلف في المتن بين قوسين، وخرّجنا الأحاديث الشريفة من مصادرها، فاتخذنا الكتب الستة مصدراً أساسياً، فإن وجدنا في البخاري أو مسلم أو كليهما قطعنا النظر عن الكتب الأخرى، وإن لم نجد في الكتب الستة خرّجناها من مصادر أخرى.

-وضعنا العناوين التعريفية للمسائل بين الأقواس المعقوفة تيسيراً للقارئ.

سبيل الحق والرشاد ثم تحقيق مذهب المحققين في ذلك بحسب
 مظهر من مظهرها فاضل من الخواتم الفاضلين من مظهرها
وسميتها الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري ومنها القول
 استمدادها من علم هذه الأبحاث وهو حجب ونم الإكثار أو قول أعلم
 أو أقوال المباد الصادرة منهم بل سبيل الجبر والاضطرار مخلوقه
 بالاعتقادات والامد على عباد فيها بالنظر بالحققة، مع العلم بالاعتقاد
 ينشئ غضب الله وهو ناسبا قط عنهم في ذلك وأما تنسب خلق
 الأبياد فلم يدخل فيها وإن كانت صادرة عنهم بطريق الاضطرار
 كما قلنا لخطأه فان الرتبة يجب عليها فكله ويكون من كثرة مالا
 لغيره أو كانت دابة فانها يمتنع طرها وأما قوله الصادرة من
 الأبياد بطريق الاختيار منهم والأرادة وقصد القلب فبما وقع
 الكلام فيها بين العلماء واختلفت فيها المذاهب بقرينة الأقوال و
 لئن فيها واحد كما استقر فينا ان شاء الله تعالى ولكن ادعى الفرق على
 فساد الذين منهم في ذلك فسادا مسك النظر انتهى القول
 ينشئ المراتب في ما بيننا ان يكون علم الحق ضرورة والإسكوا
 في هذه المسئلة وفيها من سبيل علم الكلام مسلمة الصانع
 من العبادات وأما عين لهم بأصاحبه علم الرتبة والاعتقاد
 في ما بيننا بما يعلمه الله تعالى وهو سبيل علمه على من الحق في
 ذلك وتروكوا جانب البحث والبدل في فيه والاعتقاد والظن والعقل
 والعقود المتعلقة بالمرتب آثارا والواجب في فهمه وتجلي عليهم
 فبذلك تعالى الرتب قامت برسمها والارض بأصهار الحق
 وتعلموا اليقين والبرهان منهم الفطن والحسن كما قال تعالى ومن يؤمن
 بالله يهديه يسيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله يهدي
 من يشاء

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي خلقنا من غير أن نطلب له
 وعين عن الله من الملك وما في الأرض من الحيوان أو دونه
 نخلق من غير الاختيار الذي هو قائلية صوره الله والهداية
 بسبب قوة وصحة جلاله على كل ما إلا أنما في سر والاعرف من
 أمرت عليه إخبارا لولا كان من أهل العادة وكانت فعله
 الاختيارية من غيرة غيرة غيرات فخلقت بخلقت كالم
 أهل العادة وتحت إظهار الاختيارية لتلقه بالخلق الشيطان
 وغرور من العبادات الإنسانية قال الله تعالى وغرور ما سواها
 قال في غيرها وتوابعها من خلق من زيادها وقبحها من وسأها
 والصدقة والسلم على صديقتها إظهار العاقبة والهداية
 والقيمة الجاهل لا من غير من الأمر الهرة فيكون الترتيب
 علمنا الكتاب تكونت والله خلقكم وما تقولون في دار العباد
 وتأمير والهداية والهداية ما اكتشف الجيب للمحققين وهو
 وقد صعدت الجاهل الحيات الحرة الحرة والكوكب **بسم الله**
 فيقول فيضنا العالم العاصم العالم الفاضل منها فبما هو العاصم
 في العرف وحده الموهبة المرافقة صاحب اللغة القدسي
 والقرية التي سويك وما نزلنا من بعد الحق في الناس على
 تتأليك وأمه بديهة وإعاد علينا من بركاته وكان ملك
 وأذانا من جودهم وشرفهم على رسالته في مذهب
 المتكبر في أقوال الأبياد الصادرة منهم على وجه الاختيار في

وتحيرة الرتب وطبها الرتبة انما مرجعها تاحسين والظهور في
 الجنة والخلوات والحقايق التي لا تخطأ الله والصدوق والمعلم والملك
 مع العرف والارادة والهداية والهداية وهذا العلم في الأمان والمعبر
 كما هو موجود في الإنسان الكبير والله بكل شيء ليرى في الحق القائل
 الصواب والحق وكيف خلق الله تعالى خلقا طيبا ذكرا أنثى ابنا وبنات
 وقد تنسب خلقهم لما ينسب عرف بالضرورة في عمل الله انما العالم
 وبالجملة ما صعد وعرف كيف يستحق التوبة الخيرة على ما علمه وكما يستحق
 العقاب انما العرف والحق في قول الله تعالى انما الله يهدي من يشاء
 العاصم في جميع ادوار الخيرة عااد كما هو في حق الله وفي حبه
 اللال واستحق من كل شيء قال في قوله الله والحق والحق والحق
 انما الحق باننا نعلم انما الله والحق والحق والحق والحق والحق
 تنسب خلقهم وما نزلنا من بعد الحق في الناس على
 اوله الله تام برهوه المبره برهوه في الحق والحق والحق والحق
 والكوكب في قوله تعالى انما الله يهدي من يشاء والحق والحق والحق
 لئلا لا يلحق بالحق في حق من انما الله يهدي من يشاء والحق والحق
 التوبة في العلم والحق والحق والحق والحق والحق والحق والحق
 انما الله يهدي من يشاء والحق والحق والحق والحق والحق والحق
 الاوقات التي تسمى بالحق والحق والحق والحق والحق والحق والحق
 كما هو علمهم وما في نفسهم من جلالهم وكما علمهم والحق والحق والحق
 عن زانيم والحق والحق والحق والحق والحق والحق والحق والحق
 العارف لا يوفقا له في علمهم من غير علمهم من جميع ما في علمهم
 في حقهم وما في علمهم من غير علمهم من جميع ما في علمهم
 فقط علمنا في علمهم من غير علمهم من جميع ما في علمهم
 يعلم العلم والحق والحق والحق والحق والحق والحق والحق
 انما الله يهدي من يشاء والحق والحق والحق والحق والحق والحق
 من كوكب كبر رايه في العلم والحق والحق والحق والحق والحق
 قال في رايه في العلم والحق والحق والحق والحق والحق والحق
 انما الله يهدي من يشاء والحق والحق والحق والحق والحق والحق

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي خلقنا من غير أن نطلب له
 وعين عن الله من الملك وما في الأرض من الحيوان أو دونه
 نخلق من غير الاختيار الذي هو قائلية صوره الله والهداية
 بسبب قوة وصحة جلاله على كل ما إلا أنما في سر والاعرف من
 أمرت عليه إخبارا لولا كان من أهل العادة وكانت فعله
 الاختيارية من غيرة غيرة غيرات فخلقت بخلقت كالم
 أهل العادة وتحت إظهار الاختيارية لتلقه بالخلق الشيطان
 وغرور من العبادات الإنسانية قال الله تعالى وغرور ما سواها
 قال في غيرها وتوابعها من خلق من زيادها وقبحها من وسأها
 والصدقة والسلم على صديقتها إظهار العاقبة والهداية
 والقيمة الجاهل لا من غير من الأمر الهرة فيكون الترتيب
 علمنا الكتاب تكونت والله خلقكم وما تقولون في دار العباد
 وتأمير والهداية والهداية ما اكتشف الجيب للمحققين وهو
 وقد صعدت الجاهل الحيات الحرة الحرة والكوكب **بسم الله**
 فيقول فيضنا العالم العاصم العالم الفاضل منها فبما هو العاصم
 في العرف وحده الموهبة المرافقة صاحب اللغة القدسي
 والقرية التي سويك وما نزلنا من بعد الحق في الناس على
 تتأليك وأمه بديهة وإعاد علينا من بركاته وكان ملك
 وأذانا من جودهم وشرفهم على رسالته في مذهب
 المتكبر في أقوال الأبياد الصادرة منهم على وجه الاختيار في

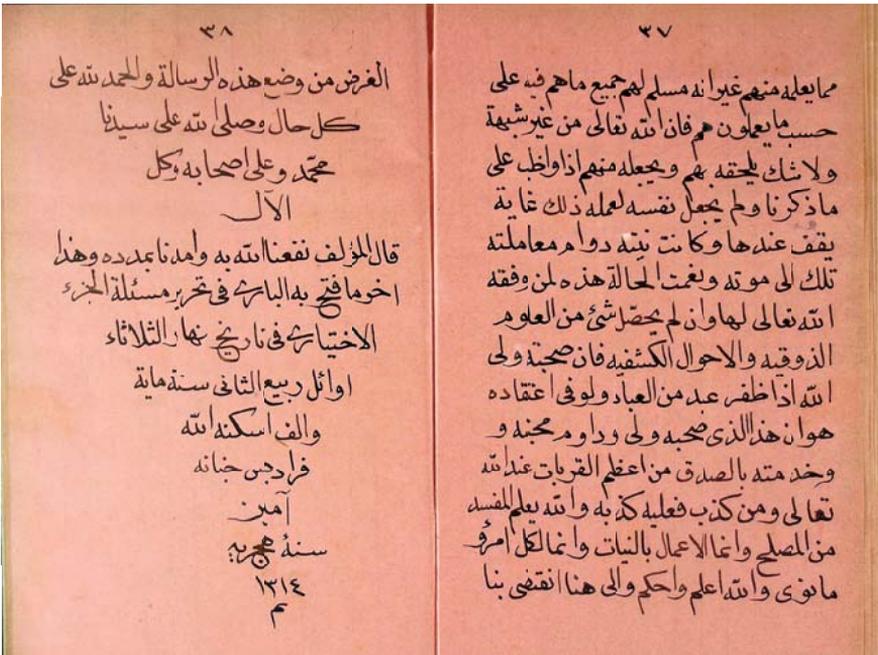
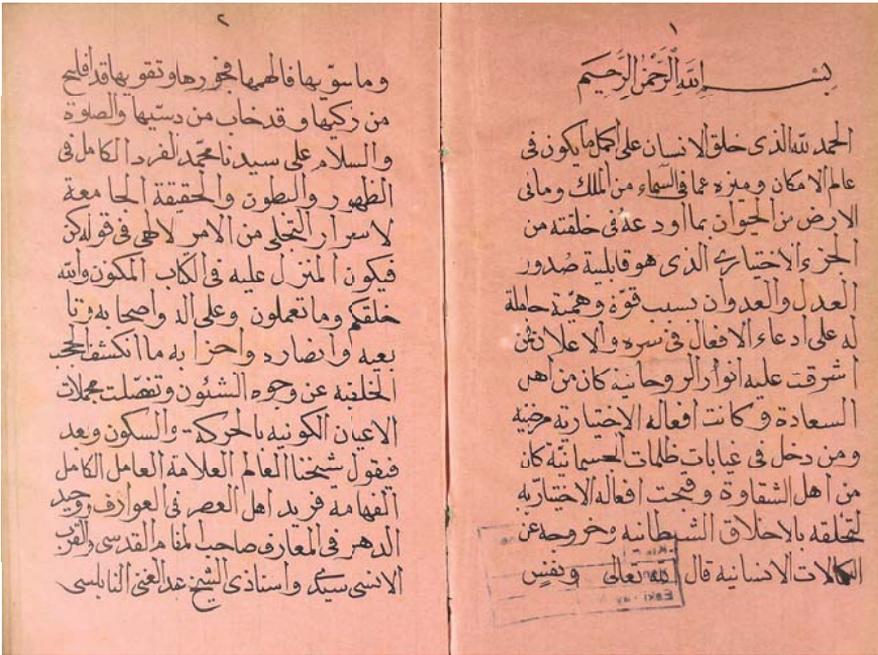
فانفال العباد الصادرة منهم من قبيل الحق والرشاد ثم تحقيق مذهب
 المحققين في ذلك على سبيل الجليل من بعض الأفاضل من الاخوة العارفين بماهيات
وسببها التكميل المستحقة للاقتناء ومن الله تعالى استناد الامانة
 على هذه الأمانة وهو حجة وقدر الكبريل وهو على الله خصه بالسبيل **قدمه** اعلم
 اننا انفال العباد الصادرة منهم على سبيل الحق والرشاد فانها صادرة
 ولا مدخل لها فيها بالنظر لستونا لله تعالى فانها كانت بحضرة غيره
 وبهوانه ساخطه وفي ذلك واما ما يحس حقوق العباد والمدخل فيها واليك
 صادرة منهم على سبيل الحق والرشاد فانها صادرة من الله تعالى
 من انتف ملاحظه او اتلفت او اتلفت او اتلفت او اتلفت او اتلفت او اتلفت
 العباد وطريق الاختيار ومنه ولا يرد. وقصدا لقلبها وبالله وقبح كبرها فيما بين
 العلماء واختلافها بالمازب وكبرها لا يقال والحق في اجماعها كاستقراره
 ان شاء الله وكما اني كل من من مهابد الدين منهم في ذلك سلوهم مسلوك
 النظر العقل والاستحقاق بحسب ما يقتضيه العقل والشرع والحق والعدل
 فلو كلفنا في هذا المسئلة بحسب ما يقتضيه العقل والشرع والحق والعدل
 والناهيون امر احسان عليهم الرحمة والرفق واللين بما يمله الله تعالى ورسوله
 عليه وسلم في حقهم في ذلك من غير ان يكون على الامور في نفسه والاد
 والقواعد المنطقية لا تقتضي ان اولادنا في ذلك من غير ان يكون على الامور في نفسه
 بل السبب والادب فابعدوا عن ذلك في كل ما كسبه القلب من غير ان يكون على الامور في نفسه
 الله تعالى ومن يبين الله بهديته في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اعاده وافضل من اولادنا

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي خلقنا على اكله ما يكون في عالم الامكان وبه عزه عما في العباد
 من الملك وما في الارض من الحيوان بما اودع في خلقه من البركات اختصارا الذي
 هو قائله صدق الله عليه وسلم وهو ان بسبب حجة وصحة حاملة على اداء
 الوفاء في حق ولا عدوان فمن اشرف على اقرار الولاية كان من اهل السعادة
 وكانت له الامانة مضمونة ومن خالفه في ايات طهارات لسانه كان
 من اهل المشقة ونجسنا في الاختيارية فخلقنا بالاخلاق الشريفة ونخرج
 من الكلال الانسانية قال الله تعالى وتشر وما سويها فانها بما تجر حيا تفتي
 ننا فلعن ذكها وقضاب من ذريةه لا يملوه ولا يملون على سيدنا عز وجل وكما
 ان الطيور والطنين والشمسة والجماعة لا يملون الفتي من الامر الا انهم لا يملون
 للمزلة في حكم الكمال المتكبر والله حكيم وواعيون وعو لا يوصدوا نابع
 انصاره واحزانه ما اكتشف لهم الخلق من حبه وشون وتصلت بمؤنة
 لايمان في الكونين بالبركة **وكقولنا** **الله** فيقول بيننا العالم العلامة العال
 الكامل الفياض الملتام العاصم العاصم الذي لا ينسى واستحقاقه في حق
 ابنه النبي **هذا** الله تعالى في اياته وادبها واعا علينا من ربكاه وبركات
 علومه واذا قلنا من بين حشره **هذه** رساله في بيان مذهب المتكلمين
 في ذلك

تسبب من الله تعالى في خلقه من البركات اختصارا الذي هو قائله صدق الله عليه وسلم وهو ان بسبب حجة وصحة حاملة على اداء الوفاء في حق ولا عدوان فمن اشرف على اقرار الولاية كان من اهل السعادة وكانت له الامانة مضمونة ومن خالفه في ايات طهارات لسانه كان من اهل المشقة ونجسنا في الاختيارية فخلقنا بالاخلاق الشريفة ونخرج من الكلال الانسانية قال الله تعالى وتشر وما سويها فانها بما تجر حيا تفتي ننا فلعن ذكها وقضاب من ذريةه لا يملوه ولا يملون على سيدنا عز وجل وكما ان الطيور والطنين والشمسة والجماعة لا يملون الفتي من الامر الا انهم لا يملون للمزلة في حكم الكمال المتكبر والله حكيم وواعيون وعو لا يوصدوا نابع انصاره واحزانه ما اكتشف لهم الخلق من حبه وشون وتصلت بمؤنة لايمان في الكونين بالبركة **وكقولنا** **الله** فيقول بيننا العالم العلامة العال الكامل الفياض الملتام العاصم العاصم الذي لا ينسى واستحقاقه في حق ابنه النبي **هذا** الله تعالى في اياته وادبها واعا علينا من ربكاه وبركات علومه واذا قلنا من بين حشره **هذه** رساله في بيان مذهب المتكلمين في ذلك

وأنفلا عن ذاتها فانها تارة امر الله تعالى في خلقه من البركات اختصارا الذي هو قائله صدق الله عليه وسلم وهو ان بسبب حجة وصحة حاملة على اداء الوفاء في حق ولا عدوان فمن اشرف على اقرار الولاية كان من اهل السعادة وكانت له الامانة مضمونة ومن خالفه في ايات طهارات لسانه كان من اهل المشقة ونجسنا في الاختيارية فخلقنا بالاخلاق الشريفة ونخرج من الكلال الانسانية قال الله تعالى وتشر وما سويها فانها بما تجر حيا تفتي ننا فلعن ذكها وقضاب من ذريةه لا يملوه ولا يملون على سيدنا عز وجل وكما ان الطيور والطنين والشمسة والجماعة لا يملون الفتي من الامر الا انهم لا يملون للمزلة في حكم الكمال المتكبر والله حكيم وواعيون وعو لا يوصدوا نابع انصاره واحزانه ما اكتشف لهم الخلق من حبه وشون وتصلت بمؤنة لايمان في الكونين بالبركة **وكقولنا** **الله** فيقول بيننا العالم العلامة العال الكامل الفياض الملتام العاصم العاصم الذي لا ينسى واستحقاقه في حق ابنه النبي **هذا** الله تعالى في اياته وادبها واعا علينا من ربكاه وبركات علومه واذا قلنا من بين حشره **هذه** رساله في بيان مذهب المتكلمين في ذلك

صورة الورقة الأولى والأخيرة لنسخة أسعد أفندي رقم ١٦٨٩



٢. تحقيق الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي خلق الإنسان على أكمل ما يكون في عالم الإمكان. وميّزه عمّا في السماء من الملّك وما في الأرض من الحيوان بما أودعه^{٣٥} في خلقته من الجزء الاختياري الذي هو قابلية صدور العدل منه^{٣٦} والعدوان، بسبب قوّة وهميّة حاملة له على ادعاء الأفعال في سره والإعلان. فمن أشرقت عليه أنوار الروحانية كان من أهل السعادة، وكانت أفعاله الاختيارية مرضية. ومن دخل في غيابات ظلمات الجسمانية كان من أهل الشقاوة، وفُتحت أفعاله الاختيارية لتخلّقه بالأخلاق الشيطانية، وخروجه عن الكمالات الإنسانية. قال الله تعالى: ﴿ونفس وما سويها فألهمها فجورها وتقويها قد أفلح من زكّوها وقد خاب من دسيها﴾^{٣٧}. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفرد الكامل في الظهور والبطون، والحقيقة الجامعة لأسرار التجلي من الأمر الإلهي في قوله: ﴿كن فيكون﴾^{٣٨}، المنزل عليه في محكم^{٣٩} الكتاب المكنون ﴿والله خلقكم وما تعلمون﴾^{٤٠} وعلى آله وأصحابه وتابعيه وأنصاره وأحزابه ما انكشفت^{٤١} الحجب الخلقية عن وجوه الشؤن، وتفصّلت مجملات الأعيان الكونية بالحركة والسكون.

أمّا بعد، فيقول العبد الفقير إلى مولاه القدير عبد الغني الشهير بابن النابلسي الشامي الدمشقي^{٤٢} أخذ الله تعالى بيده، وأمدّه بمدده: هذه رسالة في بيان مذاهب المتكلمين في أفعال

٣٥ س: أودع.

٣٦ ع - منه.

٣٧ سورة الشمس، ١٠-٧/٩١.

٣٨ سورة يس، ٨٢/٣٦.

٣٩ ع م - محكم.

٤٠ سورة الصافات، ٩٦/٣٧.

٤١ م: انكشف.

٤٢ ع م: فيقول شيخنا العالم العلامة العامل الكامل الفهامة فريد أهل العصر في العوارف ووحيد الدهر في المعارف صاحب المقام القدسي والقرب الأنسي سيدي وأستاذي الشيخ عبد الغني النابلسي. س: فيقول شيخنا العالم العلامة العامل الكامل الفهامة صاحب المقام القدسي والقرب الأنسي سيدي وأستاذي الشيخ عبد الغني بن النابلسي.

٤٣ س ع م + وأعاد علينا من بركاته وبركات علومه وأدقنا من رحيق خمرة ومشروبه.

أرل: تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»

العباد الصادرة منهم على وجه الاختيار في^{٤٤} سبيلي الغيِّ والرشاد، ثم تحقيق مذهب المحققين في ذلك على حسب ما طلبه مني بعض الأفاضل من الإخوان القاصدين معرفة ما هنالك،^{٤٥} وسميتها الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري، ومن الله تعالى [٥١ظ] أستمد الإعانة على هذه الإبانة، وهو حسبي ونعم الوكيل، وعلى الله قصد السبيل.

مقدمة^{٤٦}

اعلم أن أفعال العباد الصادرة منهم على سبيل الجبر والاضطرار مخلوقة لله بالاتفاق، ولا مدخل للعباد فيها بالنظر إلى حقوق الله تعالى، فالتكليف بمقتضى غضب الله تعالى ورضوانه^{٤٧} ساقط عنهم في ذلك، وأما بحسب حقوق العباد فلهم مدخل فيها، وإن كانت صادرة منهم بطريق الجبر والاضطرار، كالمقاتل خطأ^{٤٨} فإن الدية تجب على عاقلته،^{٤٩} وكذلك من أتلف مالا لغيره أو أتلفت دابته فإنه يضمن شرعاً.

وأما الأفعال الصادرة من العباد بطريق الاختيار منهم والإرادة وقصد القلب فهي التي وقع الكلام فيها بين العلماء، واختلفت فيها المذاهب وكثرت الأقوال، والحق فيها واحد^{٥٠} سنقره إن شاء الله تعالى، ولكن أدى كل فريق ما ذهبوا إليه من مذهبهم في ذلك سلوكهم^{٥١} مسلك النظر

٤٤ س - وجه الاختيار في، صح ه.

٤٥ س: العارفين بما هنالك.

٤٦ ع م: أقول.

٤٧ م: ورضوان الله.

٤٨ ع: خطأ.

٤٩ س: قاتله. قال النسفي: «العقل: الدية، وعقلت القتيل، أي أعطيت دينه، وعقلت عن القاتل، أي لزمته دية فأديتها عنه (...) والعاقله الذين يؤدون الدية جمع عاقل، وصار دم فلان معقلة بضم القاف، أي دية، والمعقل جمعها (...) وعن عمر رضي الله عنه أنه فرض العقل على أهل الديوان، أي جعل الدية على الذين كتبت أساميتهم في الديوان، وهم أهل الرايات.» انظر: طلبه الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، أبو حفص نجم الدين النسفي، دار الطباعة العامرة، ١٣١١هـ، ص: ١٦٨-١٦٩.

٥٠ س ع م + كما.

٥١ م: من سلوكهم.

العقلي والاستحسان بمقتضى الرأي فيما ينبغي أن يكون عليه الأمر في نفسه، وإلا لو أنهم سلكوا^{٥٢} في هذه المسألة وغيرها من مسائل علم الكلام مسلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان عليهم الرحمة والرضوان في الإيمان بما يعلمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من الحق في ذلك، وتركوا جانب البحث والجدال فيه والاعتماد على الأنظار العقلية والقواعد المنطقية لأشرفت أنوار الإيمان في قلوبهم وتجلّى عليهم نور الله تعالى الذي قامت به السموات والأرض، فأبصروا الحق بالحق، وكشفوا اللبس، وزال عنهم الظن والحدس^{٥٣}، كما قال الله تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾^{٥٤} وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احذروا فإسرافة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله» رواه ابن جرير عن ثوبان رضي الله عنه.^{٥٥}

المقصد^{٥٦}: [في المذاهب في أفعال العباد الاختيارية]

اعلم أن المذاهب في أفعال العباد الاختيارية كما ذكرنا ثلاثة مذاهب:^{٥٧} مذهبان هما في طرفي نقيض، كلٌ واحد منهما يناقض الآخر، وهما: مذهب القدرية ومذهب الجبرية، ومذهب هو بينهما معتدل وسط^{٥٨} بين الإفراط والتفريط، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾^{٥٩} [٥٢ و]، وقال تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾^{٦٠}. فمن العبرة في الأنعام لجميع الأنام خروج اللبن الطاهر من بين الفرث والدم النجسين، كما يخرج مذهب أهل السنة من بين مذهب القدرية ومذهب الجبرية الباطلين.

٥٢ أس: فلو سلكوا.

٥٣ م: والحدث.

٥٤ سورة التغابن، ١١/٦٤.

٥٥ أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «اتقوا». سنن الترمذي، تفسير القرآن ١٦.

٥٦ ع م: فصل.

٥٧ م - مذاهب.

٥٨ م: ووسط.

٥٩ سورة البقرة، ١٤٣/٢.

٦٠ سورة النحل، ٦٦/١٦.

فصل: [في مذهب القدرية]

أما مذهب القدرية وهم الذين ينفون قضاء الله تعالى وقدره في جميع الأمور التي تصدر من العباد بطريق الاختيار منهم والإرادة يقولون: إن الأمر أنف، أي مبتدأ لم يطرقه أحد، كما يقال: روضة أنف، وكأس أنف، أي: لم يشرب به^{٦١} أحد،^{٦٢} ويقولون: إن العبد يخلق أفعاله الصادرة منه بالقصد والاختيار في الخير والشر والنفع والضرر بسبب قوة أودعها الله تعالى في العبد، يخلق بها^{٦٣} ما يشاء، فيستحق الثواب من الله تعالى والعقاب بمقتضى أفعاله في الطاعات والمخالفات. وألجأهم إلى هذا القول ما عرفوا من تكليف الله تعالى^{٦٤} لهم بالطاعات ونهيه لهم عن المخالفات، على حسب ما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمعت عليه الأمة من الأحكام الشرعية المقتضية للطلب منهم والكف، فاضطروا^{٦٥} بسبب ورود الخطاب منه تعالى للعباد في ذلك إلى القول بأن العباد يخلقون أفعالهم، وإلا كان خطاب الله تعالى لهم سفها وعبثا لا فائدة فيه ولا حكمة له،^{٦٦} وهو محال، فقد أضلهم كتاب^{٦٧} الله تعالى بمقتضى ما فهموه منه تصديقاً لقوله تعالى: ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾^{٦٨} الآية، وهم مجوس هذه الأمة بحكم قوله صلى الله عليه وسلم: «إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله تعالى، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم.» رواه ابن ماجه في سننه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.^{٦٩}

٦١ س: لم يشربه.

٦٢ بين النابلسي أنهم لا يقبلون علم الله الأزلي، ويقولون أن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، كما قال في الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية: «فقالوا لا قدر، وإنما الأمر أنف حتى أن الله تعالى لا يعلم الأشياء قبل وجودها، وإنما يعلمها بعد أن تقع.» انظر: الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية، عبد الغني النابلسي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١١، ٢٨٨/١.

٦٣ ع - بها، صح هـ.

٦٤ أ س + للعباد وأمره تعالى.

٦٥ ع: ما اضطروا.

٦٦ أ - ولا حكمة له.

٦٧ أ - كتاب.

٦٨ سورة البقرة، ٢/٢٦.

٦٩ سنن ابن ماجه، السنة ١٠.

فصل: [في مذهب الجبرية]

وأما مذهب الجبرية المعطلين للتكاليف الشرعية المسفّهين للخطابات^{٧٠} الإلهية زنادقة هذه الأمة^{٧١} الإسلامية فهو أن العباد مجبورون في جميع أفعالهم الصادرة منهم اختياراً واضطراً، وأن الله تعالى إذا أراد الخير خلقه للعبد وجبره في فعله، وإذا أراد الشر للعبد خلقه له وجبره في فعله، ولا مدخل للعبد في صدور الأفعال منه؛ وإن كان عندهم يصحّ نسبة الأفعال إلى العبد،^{٧٢} فإن ذلك على [٥٢هـ] جهة الاتصاف بها، كالذكورة والأنوثة^{٧٣} في العبد، فإن الله تعالى خلقها فيه وجبره في الاتصاف^{٧٤} بها، ولا مدخل له في صدورها منه، وكونه متصفاً بها، فكذلك عندهم جميع أفعال العباد من خير وشر ونفع وضر تصدر من العباد وهم مجبورون فيها ومضطرون في كونها صادرة^{٧٥} منهم، وألجأهم إلى القول بذلك ما عرفوا من الكتاب والسنة وإجماع الأمة من أن الله تعالى خالق^{٧٦} كل شيء، وأنه لا تأثير لكل ماسواه في أثر ما، وزيادة تشنيعهم وردّهم على الفرقة الأولى القدرية القائلين بأن العباد يخلقون أفعال أنفسهم، ففرّوا من ذلك وتباعداً عنه فوقوا فيما هو أشد منه، وهو القول بالجبر المحض المقتضي لبطلان الخطاب الإلهي، وتسفيه التكليف الشرعي، وكون بعثة الرسل وإنزال الكتب عبثاً، والإنذار والتبشير لعباً، إذ لا مدخل للعباد فيما يصدر منهم من الأفعال على مقتضى مذهب الجبرية، فاحتفال الحق تعالى يكون باطلاً حينئذ بشأن المكلفين وتخصيصهم بالخطاب والأمر والنهي دون كل ما عداهم وقبولهم، بسبب ما خلقهم عليه من الاستعداد لحمل الأمانة بعد عرضها على السموات والأرض والجبال وإبائتها عن قبول ذلك بحكم الآية: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾^{٧٧} إلى آخره، واقتضاء مذهبهم ردّ النصوص الصريحة في نسبة الأفعال إلى العبد^{٧٨}، وكقوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾^{٧٩}، وقوله تعالى:

٧٠ م: للخطاب.

٧١ س: الملة.

٧٢ س ع م: للعبد.

٧٣ أ س: كالذكورية والأنوثية.

٧٤ أ: بالاتصاف.

٧٥ ع م - صادرة.

٧٦ أ: خلق.

٧٧ سورة الأحزاب، ٧٢/٣٣. م - وإبائتها عن قبول ذلك حكم الآية إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال.

٧٨ ع - الأفعال إلى، صح هـ.

٧٩ سورة البقرة، ٢/٢٨٦؛ م - وكقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

أرل: تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»

﴿واعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾^{٨٠} فأثبت تعالى للعباد مشيئة في أعمالهم، فالقائلون بالجبر المحض ينفون تلك المشيئة، فالنصوص كثيرة في الرد عليهم، وعلى الفرقة الأولى القدرية أيضاً، ولولا أن هؤلاء الفرقتين القدرية والجبرية متأولون في كل ما يرد عليهم من النصوص القطعية لحكم أهل السنة والجماعة بكفرهم، وخروجهم عن^{٨١} ملة الإسلام رأساً، ولم يحكموا بتفسيقهم وتبديعهم ومخالفتهم لمقتضى السنة النبوية والطريقة المحمدية.

فالجبرية^{٨٢} أضلهم التوحيد الإلهي، والقدرية^{٨٣} أضلتهم التكاليف الشرعية، فحمل الجبرية القول بالتوحيد على وجه المبالغة أن حكموا بنفي الحكمة في أفعال الحكيم جلّ وعلا، كما حمل القدرية القول بالتكاليف الشرعية [٥٣و] والخطابات الإلهية على وجه المبالغة أن حكموا بتعطيل القدرة^{٨٤} ونفي عموم الخلقة في ملك الله تعالى وملكوته. فمالت القدرية إلى جانب النفوس، وهو الجانب اليمين، ونظرت بالعين الواحدة ومشيت بالقدم الواحدة فوقعت في النار. ومالت الجبرية إلى جانب القلوب، وهو الجانب اليسار، ونظرت بالعين الواحدة ومشيت بالقدم الواحدة فوقعت في النار. ولم تمل أهل السنة والجماعة إلى جانب من الجانبين، واعتدلت في السير، ونظرت بالعينين ومشيت بالقدمين وآمنت بالطرفين، فثبتت الله تعالى بالقول الثابت، كما قال الله تعالى: ﴿ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾^{٨٥}.

ولكن اختلف أهل النظر منهم لسلوكهم مسلك الاجتهاد في الاعتقاد ودخولهم في مضائق العقول في قبول النقول، وقد ألبسوا إيمانهم بظلم فلم يأمنوا من الجدل والاختلاف، وفاتم مقام الاجتماع والائتلاف، وكان من حق^{٨٦} الاعتقاد أن لا يدخله الاجتهاد وأن يكون تصديقاً محضاً وإسلاماً خالصاً واستسلاماً للأمر على ما هو عليه، على حسب ما يعلمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من الحق والصواب، كما هو مذهب السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وتابعي

٨٠ سورة فصلت، ٤١/٤٤ ع - الأفعال إلى، صح هـ.

٨١ أس: من.

٨٢ أ + قد.

٨٣ أ + قد.

٨٤ م: القدرية.

٨٥ سورة إبراهيم، ١٤/٢٧.

٨٦ ع: من حقه.

التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وهو الآن مذهب المحققين من العارفين أئمة الكشف والتحقيق والسلوك والتوفيق.

ومن حقّ الاجتهاد أن لا يكون إلا^{٨٧} في الأحكام التكليفية والشرائع العملية، كما قال «صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذًا إلى اليمن، قال: كيف تقتضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله تعالى، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة^{٨٨} رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيي^{٨٩} ولا ألو، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله.»^{٩٠} رواه أبو داود عن الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة بن شعبة عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وأخرج أبو داود عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ [٥٣ظ] فله أجر»،^{٩١} فإن النصوص الواردة في شأن الاجتهاد تقتضي^{٩٢} أن يكون مأذونًا فيه في الأعمال الظاهرة فقط من عبادات ومعاملات، لا في حق^{٩٣} الأمور الاعتقادية، لأن الظنّ في الاعتقاد غير مقبول إجماعًا بدليل قوله تعالى: ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظنًا إنَّ الظنَّ لا يغني من الحق شيئًا﴾^{٩٤} وإنما المطلوب في الأمور الاعتقادية اليقين والقطع من غير شكّ ولا تردد، كما قال تعالى: ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾^{٩٥}.

٨٧ ع م - إلا.

٨٨ أ: فسنة.

٨٩ ع م: ورأيي.

٩٠ سنن أبي داود، الأفضية ١١.

٩١ سنن أبي داود، الأفضية ٢.

٩٢ ع: ويقتضي.

٩٣ أ: الحق.

٩٤ سورة يونس، ٣٦/١٠.

٩٥ سورة الأنفال، ٤٠٧٤/٨.

واختلف العلماء في صحّة إيمان من يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، والاجتهاد إنما ينتج الظنّ لا اليقين، ولهذا اختلف المجتهدون في الأعمال الظاهرة، وكانوا على هدى في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده، ولم يُنقل إلينا تفسير بعضهم بعضاً ولا تبديعهم ولا ردّهم على بعضهم بعضاً في شيء من^{٩٦} الأعمال الظاهرة، وإنما التبديع والتضليل كان بينهم من جهة الأمور الاعتقادية، وما ذلك إلا لعدم جواز الإجتهد في الاعتقاد ووجوب التسليم والاستسلام لله ورسوله في كل ما ورد عنهما من الأخبار، وما أشكل من الأمور التي لا ضرورة في طلب المعنى المراد منها حيث كان المطلوب منها مقدوراً عليه، وهو الإيمان والتصديق والتسليم والاستسلام بخلاف النصوص التي مقتضاها طلب معنى زائد على الإيمان بما فلا بدّ من معرفة ذلك المعنى لضرورة القيام به أمراً ومحباً.

فلاجتهاد في العمليات ضروري من ضروريات المكلف، والاجتهاد في الاعتقادات غير ضروري، بل هو محلّ بالقيام^{٩٧} بالحكم المقصود من الاعتقادات، وهو التصديق بالغيب، لبقاء المحنة في تكليف العبد. ولم يرد في الشريعة نصّ يقتضي طلب الاجتهاد في الأمور الاعتقادية ما عدا ظواهر يفهم منها ذلك على بعد، كقوله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾^{٩٨}، وقوله تعالى: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾^{٩٩}، وذكره^{١٠٠} تعالى الدليل بقوله سبحانه: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾^{١٠١}، وإنما ذلك ونحوه وقع في مخاطبة الكافرين الجاحدين لتوحيد الله تعالى ولنبوة محمد صلى الله عليه وسلم على طريقة الرد عليهم، لا أن^{١٠٢} ذلك تعليم للمؤمنين أن يكونوا عليه في إيمانهم. والذي نقطع به الآن أن جميع أهل النظر ومن تكلم في مسائل^{١٠٣} الاعتقاد [٥٤و] من المتقدمين والمتأخرين إنما مرادهم الردّ والاحتجاج على المخالفين من المبتدعة وفرق^{١٠٤}

٩٦ س ع م + أمر.

٩٧ م: القيام.

٩٨ سورة يونس، ١٠/١٠١.

٩٩ سورة آل عمران، ٢/١٩١.

١٠٠ أ: وذكر.

١٠١ سورة الأنبياء، ٢١/٢٢.

١٠٢ س: لأن.

١٠٣ م: بمسائل.

١٠٤ س ع م: وفرقة.

أهل الضلال والزيغ على فرض وجود ذلك، لا أن^{١٠٥} مرادهم جعل ذلك مذهباً اجتهادياً لأهل السنة والجماعة في مقابلة المذاهب الاجتهادية التي لأهل البدع من المعتزلة وغيرهم.

وقد رد^{١٠٦} على أهل النظر كثير من العلماء منهم الإمام القرطبي في شرح صحيح مسلم، فإنه قال: «مذهب السلف وأئمة الفتوى من الخلف أن من صدّق بهذه الأمور -يعني الواقعة في حديث جبريل عليه السلام لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وأجابته النبي صلى الله عليه وسلم بما أجابه به- تصديقاً جزئياً لا ريب فيه ولا تردد ولا توقف، كان مؤمناً حقيقاً، وسواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو عن اعتقادات جازمة. على هذا انقضت الأعصار الكريمة^{١٠٧}، وبهذا^{١٠٨} صرّحت فتاوى أئمة الهدى المستقيمة، حتى حدثت مذاهب المعتزلة المبتدعة، فقالوا: إنه لا يصحّ الإيمان الشرعي إلا بعد الإحاطة بالبراهين العقلية والسمعية، وحصول العلم بنتائجها ومطالبها، ومن لم يحصل^{١٠٩} إيمانه كذلك فليس بمؤمن، ولا يجزئ إيمانه بغير ذلك، وتبعهم على ذلك جماعة من متكلمي أصحابنا كالقاضي أبي بكر، وأبي إسحاق الإسفراييني، وأبي المعالي في أوّل قوله، والأول هو الصحيح، إذ المطلوب من المكلفين^{١١٠} ما يقال عليه إيمان، لقوله تعالى: ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^{١١١}، ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^{١١٢}، والإيمان هو التصديق لغّةً وشرعاً، فمن صدّق بذلك كلّهُ ولم يجوز نقيض شيء من ذلك فقد عمل بمقتضى ما أمره الله تعالى به على نحو^{١١٣} ما أمره^{١١٤} الله،^{١١٥} ومن كان كذلك

١٠٥ أ س: لأن.

١٠٦ م: ورد.

١٠٧ ع: القديمة.

١٠٨ أ ع: وبه.

١٠٩ س: ومن لم يجعل، صح هـ.

١١٠ ع: المكلف.

١١١ سورة النساء، ٤/١٣٦.

١١٢ سورة الفتح، ٤٨/١٣. لم يذكر المؤلف الآية بشكل كامل لإيفاء القسم المذكور غرضه أو تنبيهاً لما يستشهده، ووجه الاستشهاد بما هو أن تفيد تحديداً لمن لم يؤمن وبهذا تكون أمراً بالإيمان. والآية بأكملها: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعيراً﴾ (سورة الفتح، ٤٨/١٣).

١١٣ ع م - نحو.

١١٤ م: ما أثر.

١١٥ النسخ + به. والتصحيح من شرح مسلم للقرطبي.

أرل: تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»

فقد قضى عهدة^{١١٦} الخطاب؛ إذ قد عمل بمقتضى السنة والكتاب. ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعده حكموا^{١١٧} بصحة^{١١٨} إيمان كل من آمن وصدق بما ذكرناه، ولم يفرقوا بين من آمن عن برهان أو عن غيره، ولأنهم لم يأمرؤا أجلاف العرب بتزديد النظر، ولا سألوهم عن أدلة تصديقهم، ولا أرجؤوا إيمانهم حتى ينظروا، وتحاشوا عن إطلاق الكفر على أحد منهم بل سموهم المؤمنين والمسلمين، وأجروا^{١١٩} عليهم أحكام^{١٢٠} الإيمان والإسلام. ولأن البراهين التي حررها المتكلمون وربتها الجدليون إنما أحدثها المتأخرون، ولم يخض في شيء من تلك الأساليب السلف الماضون، فمن الحال [٥٤ظ] والهديان أن يشترط في صحة الإيمان ما لم يكن معروفاً ولا معمولاً به لأهل ذلك الزمان.^{١٢١}

ثم ذكر القرطبي أيضاً في موضع آخر من شرح مسلم قال: «ويستفاد من هذا الحديث -أعني حديث ضمام بن ثعلبة الذي في الصحيحين- أن الشرع إنما طلب من المكلفين التصديق الجزم^{١٢٢} بالحق كيفما حصل وبأي وجه ثبت، ولم يقصرهم في ذلك على النظر في دلالة معينة، لا معجزة ولا غيرها، بل كل من حصل له اليقين بصدقه^{١٢٣} بمشاهدة وجهه أو بالنظر في معجزته، [أو بتحليفه، أو بقرينة لاحت له،]^{١٢٤} كان من المؤمنين، وكان^{١٢٥} من جملة عباد الله المخلصين.»^{١٢٦} انتهى كلام القرطبي رحمه الله تعالى.

١١٦ أ: فقد تقضى عن عهدة؛ ع: فقد قضى عهداً.

١١٧ أ: علموا.

١١٨ ع: م: لصحة.

١١٩ أ: ع: وأخذوا.

١٢٠ م: لحكام.

١٢١ انظر: المفهم شرح صحيح مسلم، القرطبي، كتاب الإيمان، وباب معاني الإيمان والإسلام والإحسان شرعاً، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ١/١٤٥-١٤٦.

١٢٢ أ: الجازم.

١٢٣ ع: م: بتصديقه.

١٢٤ ع - أ: أو بتحليفه أو بقرينة لاحت له؛ في النسخ: «ونحو ذلك»، والزيادة من شرح صحيح مسلم للقرطبي.

١٢٥ أ: ع - كان.

١٢٦ المفهم شرح صحيح مسلم، القرطبي، كتاب الإيمان، وباب وجوب التزام بشرائع الإسلام، ١/١٦٤.

فصل: [في مذهب أهل السنة والجماعة]

وأما مذهب أهل السنة والجماعة - أعني أهل النظر منهم - فهو الاتفاق على أن أفعال العباد صادرة عنهم^{١٢٧}، وهم الفاعلون لها من غير جبر لهم في ذلك، وأن الله تعالى خالقهم وخالق أفعالهم كلها، غير أن أهل هذا المذهب - وإن كانوا موصوفين بأنهم أهل السنة والجماعة بالنسبة إلى المخالفين لهم من المبتدعة^{١٢٨} - هم مختلفون فيما بينهم أيضاً باعتبار أنهم أهل نظر وجدال. فالمذاهب عند أهل السنة والجماعة في أفعال العباد الاختيارية ثلاثة مذاهب: ^{١٢٩}

فصل: في مذهب الظاهرية من مذاهب أهل السنة والجماعة]

الأول مذهب الظاهرية، وهم الطائفة الذين هم مع ظواهر النصوص، يقولون بما ويعتقدونها، مفهومة وغير مفهومة، ويستندون إليها في القول والاعتقاد والاحتجاج من غير تأويل، كبعض الحنابلة وغيرهم، ومذهبهم في أفعال العباد الاختيارية أنها صادرة من العباد بتأثيرهم فيها بإذن الله تعالى لا بالاستقلال،^{١٣٠} ولا هم مجبورون فيها، بل هم فاعلون لها مؤثرون فيها عندهم بإذن الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿فهزموهم بإذن الله﴾^{١٣١} وقال تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾^{١٣٢} ونحو ذلك. وحملوا نسبة الفعل إلى العبد على التأثير من العبد فيها، ولكن قالوا: التأثير من العبد صادر بإذن الله تعالى لا بالاستقلال من العبد، كما أن إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص صادر عن^{١٣٣} عيسى عليه السلام بمعجزة له بإذن الله تعالى. قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه

١٢٧ م س: منهم.

١٢٨ م: مبتدعين.

١٢٩ م - مذاهب.

١٣٠ ع م: بالاستقلال.

١٣١ سورة البقرة، ٢٥١/٢.

١٣٢ سورة البقرة، ٢٤٨/٢.

١٣٣ س: من.

أرل: تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»

فيكون طيراً بإذن الله وأبرى الأكمه [٥٥] والأبرص وأحي الموتى بإذن الله. ١٣٤ فقد نسب التأثير إليه، وجعله بإذن الله تعالى.

فصل: [في مذهب الأشاعرة من مذاهب أهل السنة والجماعة]

والثاني من المذاهب الثلاثة مذهب الأشاعرة، وهم جماعة أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى، نسبوا إليه لقولهم بقوله في متابعة أقواله واستنباط الأقوال ١٣٥ من مفاهيم أقواله. ومذهبهم في أفعال العباد الاختيارية أن الله تعالى إذا أراد أن يخلق للعبد أفعالاً اختيارية - هي مناط تكليفه في الخير والشر والنفع والضر - خلق له ١٣٦ اختياراً جزئياً لتلك الأفعال، يجبر الله تعالى العبد في خلقه ذلك الاختيار له، فالعبد عندهم مختار في ١٣٧ أفعاله مجبور في اختياره، وهو الجبر المتوسط دون الجبر المحض، الذي هو مذهب الجبرية المذكور فيما سبق. فالله تعالى - عند الأشاعرة - يخلق الاختيار للعبد عند خلقه ١٣٨ الأفعال له، ١٣٩ فتنسب الأفعال المخلوقة في العبد للعبد، وتكون أفعاله اختيارية صادرة منه منسوبة إلى اختياره ١٤٠ المخلوق فيه، فلا جبر للعبد في أفعاله، وإن كان مجبوراً في اختياره كما ذكرنا. وباعتبار هذا المذهب يقول الشيخ الأكبر محيي الدين بن ١٤١ العربي قدس الله سره في كتابه الفتوحات المكية في الباب الثالث والسبعين منه: «المجبور في اختياره لا شيء ١٤٢ يثنى ١٤٣ عليه بالاختيار إلا مع رفع العلم ١٤٤

١٣٤ سورة آل عمران، ٤٩/٣.

١٣٥ أس: والاستنباط للأقوال.

١٣٦ أس + عند ذلك.

١٣٧ س: من.

١٣٨ أ ع م: خلق.

١٣٩ س ع م - له.

١٤٠ ع م: اختيار.

١٤١ م - بن.

١٤٢ أ - شيء.

١٤٣ ع - يثنى.

١٤٤ س: مع فهم العلم، صح ه؛ ع: مع رفع القلم. والتصحيح من الفتوحات المكية لابن العربي.

عنه بالجبر في ذلك الاختيار سرًّا^{١٤٥}، لأن الاختيار يناقض الجبر، فيعلم الإنسان^{١٤٦} عند ذلك ما هو المراد بالاختيار، ويرى أنه ما ثمَّ في الوجود إلا الجبر من غير^{١٤٧} إكراه، فهو مجبور غير مكره. وهذه المسألة من^{١٤٨} أعظم المسائل في المعارف، فكم هلك فيها من الخلق قديمًا وحديثًا. «^{١٤٩} انتهى كلامه.

فصل: ١٥٠ [في مذهب الماتريدية من مذاهب أهل السنة والجماعة]

والمذهب الثالث من المذاهب الثلاثة مذهب الماتريدية، وهم^{١٥١} جماعة أبي منصور الماتريدي رحمه الله تعالى، نُسبوا إليه أيضًا^{١٥٢} لقولهم بقوله واستنباطهم من أقواله. ومذهبهم في أفعال العباد الاختيارية أن الله تعالى لما خلق العباد المكلفين^{١٥٣} من بني آدم والجن خلق تعالى لهم من جملة قواهم الباطنية قوَّةً اختياريةً عقليةً مثل ما خلق الله تعالى فيهم قوَّةً خياليةً يتخيلون بها المعاني في مقدّم الدماغ، وقوَّةً فكريةً يجولون بها على المعاني في وسط الدماغ، وقوَّةً حافظةً يحفظون بها المعاني ويضبطونها في مؤخر الدماغ، كما أنه تعالى خلق لهم قوَّةً بصريةً يبصرون بها المرئيات، وقوَّةً سمعيةً يسمعون بها الأصوات، وقوَّةً ذوقيةً [٥٥٥ظ] يدركون بها الطعوم، وقوَّةً شمّيةً يدركون بها الروائح، وقوَّةً لمسيةً يدركون بها الحرارة والبرودة والنعومة والخشونة، وغير ذلك من القوى المخلوقة لهم في هذا الجسم الإنساني في مواضع منه معلومة.

١٤٥ س م: سواء.

١٤٦ ع س - الإنسان.

١٤٧ أ - غير.

١٤٨ أ - من.

١٤٩ الفتوحات المكية، ابن العربي، تقديم نواف الجراح، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٤ م، ٤٣/٣.

١٥٠ ع م - فصل.

١٥١ أ ع م - وهم.

١٥٢ م - إليه أيضًا.

١٥٣ س ع م: العبد والمكلفين.

أرل: تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»

وهذه القوى وغيرها موجودة في خلقه الإنسان من ابتداء وجوده إلى وقت موته، وبعد موته^{١٥٤} توجد في روحانيته أيضاً باعتبار تشخيصها بالصور البرزخية المناسبة لذلك العالم، وإن كانت هذه القوى كلها أعراضاً غير مستقرة - لا متناع بقاء العرض - فإنها مستمرة^{١٥٥} في الإنسان باقية فيه بتكرار الأمثال على حسب ما يريد الله تعالى، فكذلك للعبد عند الماتريديّة من جملة تلك القوى قوةً اختياريّة خلقها الله تعالى في نفس العبد موجودة فيه من ابتداء وجوده، متكرّرة فيه بخلق الأمثال، كغيرها من القوى، يخلق الله تعالى الأفعال لذلك العبد على حسب ما تقتضيه تلك القوة الاختياريّة، وبحسب^{١٥٦} ما توجهت إليه من الخير أو الشر أو النفع أو الضر، ثم يثيب الله تعالى العبد على ذلك في الآخرة ويعاقبه بمقتضى ذلك، وبهذا الاعتبار تسمى تلك القوة جزءاً اختياريّاً، كأنها جزء من خلقه الإنسان منسوب إلى الاختيار، وحيث كانت تلك القوة الاختياريّة جزءاً من خلقه الإنسان كانت بمنزلة يده ورجله في أجزاء جسم الإنسان، فلا يقال حينئذ في تلك القوة الاختياريّة أن الإنسان مجبور في خلقها^{١٥٧} فيه، ولا أنه مختار في خلقها فيه أيضاً، كما لا يقال إنه مجبور في خلق اليد له والرجل، ولا مختار في ذلك، ولأنه لا يكون إنساناً كاملاً في مرتبة التكليف إلا بعد أن يخلق الله تعالى فيه تلك القوة الاختياريّة، فإذا خلقت فيه كان تامّ الخلقه كامل الصورة، وليس نسبة الجبر إليه في خلقها له بأولى من نسبة الجبر إليه في خلقه كلّ ظاهرًا وباطنًا، فكما أن العبد لا يقال فيه أنه مجبور في خلقه وإيجاده في هذه الحياة الدنيا لا ينسب إليه الجبر باعتبار قوة مخلوقة فيه من بعض قواه المخلوقة^{١٥٨} فيه.

ثم إن تلك القوة الاختياريّة مادامت مخلوقة في العبد فالعبد مكلف بالأحكام الشرعية، فإذا سلبت منه^{١٥٩} في وقت^{١٦٠} من الأوقات سقط تكليفه لنقصان خلقته بفقد جزء منها، وهو جزؤه الاختياري، كحالة نوم الإنسان وإغمائه وجنونه، كما أنها إذا لم تكمل بالبلوغ فليس معتدّاً بها شرعاً، ولهذا لا تكليف [٥٦] على الصبي لعدم كمال إنسانيّته فيه. فالعبد عند الماتريديّة فاعل

١٥٤ م - وبعد موته.

١٥٥ س: مستقرة.

١٥٦ س ع م: بحسب.

١٥٧ س: خلقتها.

١٥٨ أ: مخلوقة.

١٥٩ س: عنه.

١٦٠ س ع م: وقتاً.

مختار لكلِّ ما يشاء وما يريد من الخير والشر والنفع والضرر، ومع ذلك هو مخلوق كَلَّه ذاته وصفاته وأفعاله، وليس بمجبور أصلاً، لا جبراً^{١٦١} متوسّطاً ولا جبراً محضاً.

أما كون العبد فاعلاً لأفعاله الاختيارية فلأن من المعلوم اليقين^{١٦٢} أن الفاعل كلُّ من صدر الفعل منه، كما يقال: حركت الحجر فتحرك،^{١٦٣} أي صدرت منه الحركة، فالحجر هو الموصوف بالحركة الصادرة منه، لا المحرك موصوف بذلك، وكذلك العبد هو الموصوف بأفعاله الاختيارية الصادرة منه لا أن الله تعالى هو الموصوف بشيء من ذلك، لأن الله تعالى هو الخالق لتلك الأفعال في العبد بمنزلة المحرك للحجر في مثالنا المذكور، فإنه لا يوصف بالحركة التي حرك الحجر بها، وهي المتحركة الانفعالية، وإنما يوصف بالحرورية الفاعلية، وبهذا الاعتبار قالوا: إن الله هو الخالق والعبد هو الكاسب، وأما كون العبد مختاراً في أفعاله الاختيارية فلأنه مخلوق له جزء اختياري فيه من قبل صدور الأفعال منه، فهو مختار يريد يفعل ما يشاء، وإن كانت مشيئته متعلقة بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ^{١٦٤} ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾^{١٦٥} فالعبد مخلوق كله^{١٦٦}، ظاهر في ملك الله تعالى بأنه مختار يريد فعلاً لما يشاء ﴿فلله الحجة البالغة﴾^{١٦٧} ﴿ولو شاء هديكم أجمعين﴾^{١٦٨}.

هذا تقرير مذاهب العلماء في مسألة أفعال العباد على وجه التلخيص والاختصار، وفي كتب علم الكلام الإطالة في ذلك والإكثار، فمن أراد فليراجع في أماكنه، وفي ظني أن ما ذكرناه يغني عن ذلك لاشتماله على فوائد لا توجد في علم الكلام يعرفها الماهر التحرير المطلع على هذا التحرير.

١٦١ ع م: جبراً.

١٦٢ ع م: اليقيني.

١٦٣ س ع م + الحجر.

١٦٤ م - كما قال تعالى.

١٦٥ سورة الإنسان، ٣٠/٧٦؛ سورة التكويد، ٢٩/٨١.

١٦٦ ع: فالعبد كله مخلوق.

١٦٧ سورة الأنعام، ١٤٩/٦.

١٦٨ سورة النحل، ٩/١٦.

خاتمة: ١٦٩ [في تقرير هذه المسألة وبيان سرّها على وجه الإشارة]

وأما الذي عندنا في تقرير هذه المسألة وبيان سرّها على وجه الإشارة أن ١٧٠ حقيقة معرفتها متوقفة على الكشف وانفتاح باب الغيب الملكوّتي للقلب الإنساني، حتى يدري العبد كيف خلقه الله تعالى، ويعرف كيف خلق الله السموات والأرض، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت [٥٦ظ] وإلى الأرض كيف سطحت﴾ ١٧١ الآية، وقال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ ١٧٢ ﴿سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ ١٧٢ وقال تعالى في قوم آخرين: ١٧٣ ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ ١٧٤ الآية، فمن أشهده الله تعالى خلق نفسه، وعرف نفسه كيف خلقت عرف كيف خلق الله تعالى كلّ شيء، وهذا علمٌ طريقه ١٧٥ التقوى والصدق والإخلاص، لا القراءة والتفهم ١٧٦ من المشايخ، ولكن حظّ العقلاء من ذلك ما نشير إليه إن شاء الله تعالى.

اعلم ١٧٧ أولاً: إن الله تعالى حيث خلق كل شيء - كما هو المقرر في عقائد العموم - لم يكن شيء من الأشياء يؤثّر أصلاً في شيء من الأشياء، فالعمل الصالح لا يؤثّر في حصول رضوان الله تعالى، ولا في الجزاء عليه في الدنيا والآخرة من دخول الجنة ومن بلوغ المراد، ودخول الجنة لا يؤثّر في حصول النعيم بما فيها من اللذة، ١٧٨ وكذلك العمل الفاسد لا يؤثّر في حصول سخط الله تعالى ولا في الجزاء في الدنيا والآخرة من دخول النار والعقاب، ولا يؤثّر دخول النار في حصول

١٦٩ ع: م: فصل.

١٧٠ أس: إذ.

١٧١ سورة الغاشية، ١٧/٨٨.

١٧٢ سورة فصلت، ٥٣/٤١.

١٧٣ م: وقال تعالى في آية أخرى.

١٧٤ سورة الكهف، ٥١/١٨.

١٧٥ أ: طريقته.

١٧٦ ع: م: التفهيم.

١٧٧ ع: م: فصل.

١٧٨ أ: في حصول النعيم فيها واللذة؛ س: ع: واللذة.

الألم والعذاب أصلاً، وإنما المؤثر^{١٧٩} في جميع ذلك وفي غيره أيضاً هو الله تعالى وحده، وقد خلق الله تعالى الإنسان له ذات وله صفات وله أفعال، كما أنه تعالى له ذات وله صفات وله أفعال، والمؤثر^{١٨٠} في ذات الإنسان وفي صفاته وفي أفعاله هو الله تعالى وحده بذاته سبحانه وبصفاته وبأفعاله، فكان الإنسان الذي هو مجموع الذات والصفات والأفعال بمنزلة الصورة لذات الله تعالى ولصفاته ولأفعاله، ولهذا ورد في بعض الأخبار «إن الله تعالى خلق آدم على صورته»،^{١٨١} وفي رواية «على صورة الرحمن»،^{١٨٢} فكان ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله بمنزلة الصورة، وآدم خلقه الله تعالى على تلك الصورة.

أما كون ذات الله تعالى وصفاته^{١٨٣} وأفعاله بمنزلة الصورة^{١٨٤} فهذا أمر باطن^{١٨٥} خفي، وسرٌّ لا ينكشف إلا للمحققين من أهل المعرفة، فإنه ليس في الوجود إلا ذات الله تعالى التي هي في غيب الأزل المنزهة عن جميع إدراكات العقول والحواس، وصفاته تعالى التي هي الغيب أيضاً كذلك، وأفعاله تعالى التي هي كلُّ شيء من السموات والأرض وما فيهما؛ فكان مجموع كل شيء من المخلوقات ما عدا الإنسان مع الصفات الإلهية والذات الغيبية^{١٨٦} بمنزلة صورة واحدة منسوبة إلى الله تعالى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لله [٥٧] ما في السموات وما في الأرض﴾،^{١٨٧} وقال تعالى: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾،^{١٨٨} وقال تعالى: ﴿وله كل

١٧٩ م: يؤثر.

١٨٠ ع - والمؤثر، صح هـ.

١٨١ صحيح مسلم، البر والصلة والأدب ٢٦١٢.

١٨٢ المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٣٢٩/١٢.

١٨٣ س ع م - وصفاته.

١٨٤ س - أما كون ذات الله تعالى وأفعاله بمنزلة الصورة.

١٨٥ م: باطني.

١٨٦ م: الغيبية.

١٨٧ سورة البقرة، ٢/٢٨٤؛ سورة النساء، ٤/١٣١؛ سورة سبأ، ٣٤/١.

١٨٨ سورة الأنعام، ٦/٣.

أرل: تحقيق «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»

شيء،^{١٨٩} وقال تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾،^{١٩٠} وقال تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾،^{١٩١} إلى غير ذلك.

ثم إنه تعالى لما تمَّ^{١٩٢} الصورة وتكملت مراتب أفعاله على نسق صفاته بمقتضى كمال ذاته، خلق آدم من مجموع حضراته كلها، فظهر فيه بالمقام الذاتي، كما يشير إليه قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: «ما وسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي^{١٩٣} المؤمن»^{١٩٤}، وظهر فيه بالمقام الصفاتي في إشارة قوله عليه الصلاة والسلام: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»^{١٩٥} الحديث، وظهر فيه بالمقام الأفعالي، حتى قال تعالى في ذلك: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾^{١٩٦} لأن جميع المكلفين لما أقامهم الله تعالى مقام الخالقين -ولا خالق غيره- كان هو أحسن الخالقين، فزّه نفسه تعالى عن المشاركة في شيء من ذلك بقوله سبحانه: ﴿فتبارك﴾، فإنها كلمة تنزيه، وبهذا الاعتبار كان الخطاب من الله تعالى للإنسان، وحصل التكليف بالأمر والنهي؛ لأن الإنسان وحده في رتبة ثانية في الوجود، وجميع الموجودات كلها في رتبة أخرى هي الرتبة الأولى في الوجود، ويشير إلى هذا^{١٩٧} المقابلة الواقعة في قوله تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾^{١٩٨} فإنه تعالى قابل السموات والأرض بالأنفس الإنسانية، فالأنفس الإنسانية تشتمل على جميع ما تشتمل عليه السموات والأرض، حتى إن التجلي من الذات الإلهية بالصفات الربانية حاصل على الأنفس الإنسانية كما أنه حاصل على السموات والأرض، فكانت الصورة الأفعالية للذات والصفات في الأنفس الإنسانية نظير الصورة الأفعالية في السموات والأرض.

١٨٩ سورة الأنعام، ٩١/٦. في أس تقديم وتأخير في الآيتين. م - وقال تعالى وله كل شيء.

١٩٠ سورة يونس، ١٠/١٠١.

١٩١ سورة البقرة، ٢/١١٥.

١٩٢ س ع م: لما عمّم.

١٩٣ م: عبد.

١٩٤ انظر: كشف الخفاء، العجلوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٥٢هـ، ٢/١٩٥. وقال: «وقد روى الطبراني عن أبي عتبة الخولاني رفعه: إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها، وفي سنده بقية بن الوليد يدلّس، لكنه صرح بالتحديث.»

١٩٥ صحيح البخاري، كتاب الرقاق ٣٨.

١٩٦ سورة المؤمنون، ٢٣/١٤.

١٩٧ م: هذه.

١٩٨ سورة الكهف، ١٨/٥١.

وقد ظهرت المولّدات الأربعة الجماد والنبات والحيوان والإنسان عن العناصر الأربعة: النار والهواء والماء^{١٩٩} والتراب، وعن الطبائع الأربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وذلك كلّه فيما بين السموات والأرض، فهي^{٢٠٠} أعمال الصورة الكبيرة الإلهية التي هي آيات الله في السموات والأرض، فلا بدّ أن يظهر في الصورة الصغيرة الإلهية الإنسانية [٥٧ظ] نظير ذلك من الأعمال التي تظهر في الآخرة من جمادات الغرف والقصور التي في الجنة، والأودية والدركات التي في النار، ونباتات الفواكه والأشجار والرياحين التي في الجنة، وشجرة الرقوم وطلعها الذي في النار، وحيوانات الخيل والطيور التي في الجنة، والحيات والعقارب التي في النار، وإنسان الحور والولدان التي في الجنة، والزبانية التي في النار،^{٢٠١} وخلط الصفراء والسوداء والبلغم والدم مع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وهذه^{٢٠٢} كلّها في الإنسان الصغير كما هي موجودة في الإنسان الكبير، والله بكل شيء عليم.

فمن عرف كيف خلق الله تعالى السموات والأرض، وعرف كيف خلقه الله تعالى هو أيضاً فأراه الله تعالى آياته في الآفاق وفي نفسه حتى يتبين له أنه الحق^{٢٠٣} عرف بالضرورة كيف يعمل الإنسان الأعمال الصالحة والأعمال الفاسدة^{٢٠٤}، وعرف كيف يستحق الثواب في الآخرة على أعماله الصالحة، وكيف يستحق العقاب في الآخرة أو العفو والتجاوز على أعماله الفاسدة، وعرف كيف الإنسان مخيّر في جميع أفعاله مسيّر في جميع أحواله، غير مجبور في أعماله، ولا مؤثّر في شيء باستقلاله، وعرف جليّة الحال، واستغنى عن كل قيل وقال، وزال عنه الشك والإشكال، وانفكّت الطلاسم وانفتحت له الكنوز، وانزاحت له الأقفال وانحلت القيود والأغلال، ومادام الإنسان جاهلاً بمعرفة نفسه كيف خلقت وغافلاً عن ذاته القائمة بأمر الله تعالى فلا يدري كيف تكوّنت^{٢٠٥}، ولا يعرف أمر الله تعالى الذي قام به كل شيء، المعبر عنه ب﴿كن فيكون﴾^{٢٠٦}، ولا يتحقق بالأكوان

١٩٩ م: والمال.

٢٠٠ ع م: في.

٢٠١ ع م - وإنسان الحور والولدان التي في الجنة والزبانية التي في النار.

٢٠٢ ع: وهذا.

٢٠٣ لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (سورة فصلت، ٥٣/٤١).

٢٠٤ س + وعرف كيف خاطبه الله تعالى وكلفه بامتنال أوامره واجتناب نواهيه.

٢٠٥ م: تكون.

٢٠٦ سورة يس، ٣٦/٨٢.

المتلبسة بصور^{٢٠٧} الحركة والسكون فهو نائه في ظلمات الجهالات، قانع من العلوم^{٢٠٨} الحقيقية والمعارف اليقينية بالأوهام والخيالات. ولا طريقاً للتحقيق بمعرفة ماقلناه إلاً بملازمة الشيوخ الصادقين أهل القلب النوراني والسر الرباني، والثبات في صحبة أرباب^{٢٠٩} العلم الإلهي الذوقي الوجداني، والصدق في خدمتهم بدوام اعتقادهم، مع التسليم لأحوالهم وأقوالهم وأفعالهم،^{٢١٠} من غير اعتراض عليهم بالظاهر أو بالباطن^{٢١١} في وقت من الأوقات ولا في ساعة من [٥٨ و] الساعات، حتى تشمله العناية الإلهية كما شملتهم، وينظر الله تعالى إليه كما هو ناظر إليهم، ويتأثر في نفسه بكثرة مجالستهم واستحسان حالتهم، والامتثال لأوامرهم والانتفاء عن نواهيهم، والقول بقولهم والتقليد لهم والمتابعة لطريقتهم، وإن لم يكن عارفاً بما هم^{٢١٢} عليه من المعارف، ولا هو فاهم لشيء^{٢١٣} مما يعلمه منهم، غير أنه مسلم لهم جميع ما هم فيه على حسب ما يعلمونهم فإن الله تعالى من غير شبهة ولا شك يلحقه بهم، ويجعله منهم إذا واطب على ما ذكرنا، ولم يجعل في نفسه لعمله ذلك غاية يقف عندها، وكانت نيته دوام معاملته تلك إلى موته. ونعمت الحالة هذه لمن وفقه الله تعالى لها، وإن لم يحصل على شيء من العلوم الذوقية والأحوال الكشفية، فإن صحبة ولي الله إذا ظفر بها^{٢١٤} عبد من العباد - ولو في اعتقاده هو أن هذا الذي صحبه^{٢١٥} ولي - ودوام^{٢١٦} محبته وخدمته بالصدق من أعظم القربات عند الله تعالى، ومن كذب فعليه كذبه، والله يعلم المفسد من المصلح، و«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^{٢١٧}، والله أعلم وأحكم.^{٢١٨} وإلى هنا انقضى

٢٠٧ ع م: بصورة.

٢٠٨ ع م: من المعلوم.

٢٠٩ ع م - أرباب.

٢١٠ س ع م - وأفعالهم.

٢١١ س ع م: أو الباطن.

٢١٢ م: بما هو.

٢١٣ م: بشيء.

٢١٤ ع م - بها.

٢١٥ أ: صحبه.

٢١٦ أ س: ودوام.

٢١٧ صحيح البخاري، بدء الوحي ١.

٢١٨ س ع + قال.

بنا الغرض من وضع هذه الرسالة، والحمد لله على كل حال، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أصحابه وكل الآل.

قال مؤلفها قدس الله سره ونفعنا به ويعلمه: وهذا آخر ما فتح به الباري في تحرير مسألة الجزء الاختياري في تاريخ نهار الثلاثاء أوائل ربيع الثاني سنة مائة وألف. [٥٨ظ]

Abdülganî b. İsmâil en-Nablusî'nin *el-Kevkebü's-sârî fi hakikati'l-cüz'îl-ihtiyârî* Başlıklı Risâlesinin Tahkik ve Tahlili

Bu makale, vahdet-i vücûd geleneğinin önemli temsilcilerinden biri olan Abdülganî b. İsmâil en-Nablusî'nin (ö. 1144/1731) *el-Kevkebü's-sârî fi hakikati'l-cüz'îl-ihtiyârî* başlıklı risâlesinin tahkik ve tahlilinden oluşmaktadır. Risâlenin konusu, dinin temel problemlerinden biri olan insanın irade hürriyeti meselesidir. Bu mesele pek çok kelâmcı tarafından hem kelâm kitaplarının ilgili bölümlerinde hem de müstakil risâleler halinde ele alınmıştır. Bu konuda Nablusî gibi bazı mutasavvıflar da kanaat bildirmişler ve müstakil eserler vermişlerdir. Kelâm ilminin en köklü meselelerinden biri olan cüz'î irade konusunu ele aldığı bu risâlesinde Nablusî; Cebriyye, Kaderiyye ve Ehl-i sünnet ekollerinin konuya yaklaşımlarına yer verdikten sonra irade hürriyeti meselesine, keşfi ve zevkî bilgiye dayanarak sûfi bir bakış açısıyla çözüm getirmeye çalışmaktadır. Risâlenin tahlilinde, kısaca müellifin tanıtımına yer verilmiş, eserlerinin çokluğu ve çeşitliliği sebebiyle sadece risâle ile ilgili olanlarına dikkat çekilmiştir. Müellifin ele aldığı konuya nasıl bir yaklaşım getirdiği ve katkı sağladığı ifade edildikten sonra, söz konusu risâlenin Nablusî'nin diğer eserleri arasındaki yeri belirtilmiş ve nüshaları tanıtılmıştır.

Anahtar kelimeler: Abdülganî en-Nablusî, *el-Kevkebü's-sârî*, irade hürriyeti, cüz'î irade, ihtiyârî fiiller, keşf, Cebriyye, Kaderiyye.
